

تشرين الثاني و كانون الأول سنة ١٩٤٥ ذو القعدة وذو الحجة سنة ١٣٦٤

أميتنا

الأمي هو الذي يكون على جبلته لا يكتب والذي لا يكتب لا يقرأ والذي لا يقرأ ولا يكتب أعمى جاهل . ما اطردت الأمية في العرب على قانون واحد ، جاء الاسلام وليس في الحجاز غير سبعة عشر رجلاً تعلموا الكتابة من الحيرة وليس في اليمن من يقرأ ويكتب فكان الرسول اذا أسر من قريش من يحسن الكتابة يعهد اليه تعليم عشرة من أبناء المسلمين فيكون ذلك فداءه . ففشت الكتابة بذلك في العرب وشاعت في كل مصر فتحوه . ولم يمض قرن واحد حتى كان عدد من يقرأون ويكتبون في الأقطار التي رفرف عليها علم الاسلام اكثر من عدد الأميين حتى قيل ان الرجال والنساء من أهل الأندلس كانوا يكتبون ويقرأون .

ومن نظر في حال القرى في الديار الشامية قديماً يشهد غرائب ممن نبغوا فيها وتعلموا وتفقهوا وقرضوا الشعر ونظروا في الآداب . فعبد الرحيم البيساني (القاضي الفاضل) لم يكن الرجل الوحيد الذي خرج من بيسان ، ولا الشافعي وحده هو ابن غزة هاشم ، ولا الصلاح الصفدي هو الذي اخرجته صفد ، ولا جاسم في حوران مسقط رأس ابي تمام وحده ، ولا منبج مسقط رأس البحتري ، ولا المعرة مسقط رأس المعري ، وكان من القرى ما هو عامر بالعلم كبعض قرى غوطة دمشق ، وكان من كفرطاب جارة المعرة في الشمال وهي اليوم قرية داثرة عشرات من أهل الأدب ورجال الشعر والفقه والحديث . وهكذا قل في كثير من القرى الشامية

ذكر ابن ابي أصيبعة صاحب طبقات الأطباء قصة وقعت لعالمين من علماء

الشام مع فيلسوف من فلاسفة الاسلام في القرن السابع قال : حدثني نجم الدين حمزة بن عابد الصرخدي ان نجم الدين القمراوى وشرف الدين المتاني ، وقمرا ومتان قريتان من قرى صرخد ، (يقال اليوم لقمرا قميرة وهي قرية حقيرة وامتان ما زالت عامرة) قال كانا قد اشتغلا بالعلوم الشرعية والحكميه وتميزا واشتهر فضلهما ، وكانا قد سافرا الى البلاد في طلب العلم ، ولما جاءا الى الموصل قصدا الشيخ كمال الدين بن يونس وهو في المدرسة يلقي الدرس ، فسلما وقعدا مع الفقهاء ، ولما جرت مسائل فقهية تكلما في ذلك وبحثا في الأصول ، وبان فضلهما على أكثر الجماعة فأكرمهما الشيخ وأدناهما ، ولما كان آخر النهار سألاه أن يريهما كتاباً له كان قد ألفه في الحكمة وفيه لغز فامتنع وقال : هذا كتاب لم أجد أحداً يقدر على حله وأنا ضنين به . فقالا له نحن قوم غرباء وقد قصدناك ليحصل لنا الفوز بنظرك ، والوقوف على هذا الكتاب ، ونحن بائتون عندك في المدرسة ، وما نريد نطالعه سوى هذه الليلة ، وبالغداة يأخذه مولانا . وتلطفا له حتى أنعم لهما وأخرج الكتاب ، فقعدا في بيت من بيوت المدرسة ، ولم يناما أصلاً في تلك الليلة ، بل كل واحد منهما يملي على الآخر وهو يكتب ، حتى فرغا من كتابته وقابلاه ، ثم كررا النظر فيه مرات ولم يتبين لهما حله الى آخر وقت ، وقد طلع النهار فظهر لهما حل شيء منه من آخره واتضح أولاً فأولاً حتى انحل لهما اللغز وعرفاه ، فحملا الكتاب الى الشيخ وهو في الدرس فجلسا وقالا : يا مولانا ما طلبنا الا كتابك الكبير الذي فيه اللغز الذي يعسر حله ، وأما هذا الكتاب فنحن نعرف معانيه من زمان ، واللغز الذي فيه علمه عندنا قديم ، وان شئت أوردناه ، فقال : قولا حتى أسمع . فتقدم النجم القمراوي وتبعه الآخر وأوردا جميع معانيه من أول الكتاب الى آخره ، وذكرا حل اللغز بعبارة حسنة فصيحة فعجب منهما ، وقال من أين تكونان ؟ قالا : من الشام . قال : من أي موضع منه ؟ قالا من حوران ، فقال : لا أشك أن أحدكما النجم القمراوي والآخر الشرف المتاني ؛ قالا : نعم ، فقام لهما الشيخ ، وأضافهما عنده ، وأكرمهما غاية الاكرام ، واشتغلا عليه مدة ثم سافرا .

تدل هذه القصة على أشياء منها انتشار العلم حتى في القرى الواقعة في أقصى العمران وما نخال اليوم عدد من يقرأون ويكتبون من أهل قيمرة وامتان يتجاوز العشرات فضلاً عن أن يكون فيهما مثل النجم القمراوي والشرف المتاني ، واستدللنا أيضاً على كثرة غرام العلماء بالعلم قديماً ، وشدة التنقل في الأرجاء بطلبه ، وان ابن الموصل العظيم لم يكن على جهل بمن نبغ من الرجال في أرض نائية عن أرضه ، وأن قيمرة وامتان لا تخرجان رجلين من ذاك العيار في العلماء حتى يكون فيهما عشرات من المحدثين والفقهاء والأدباء والنتفة المشاركين .

كان أجدادنا يكافحون الأمية من طرق كثيرة . كانوا يكافحونها في الجوامع والمساجد وفي مدارس الفقه والحديث ودور القرآن والرباطات وفي الكتاتيب حتى لا يكاد يبنى جامع الا ويشاد على بابه كتّاب لتعليم اليتامى وغيرهم من أطفال الأمة ، وكانت معسكرات الجند المجتمعة في منازلها والمرابطة في الثغور والعواصم أشبه بمدارس لتعليم الأميين . ومن نظر في تراجم المحدِّثين يسقط على اسماء كثيرة من المحدِّثات مما يستدل به على عدد المتعلمات والمتعلمين وكان يعدّ تعلم البسائط من الكتابة والقراءة من الضرورات في العبادات لتصح الصلاة ، والأميّ لا يحسن تلاوة القرآن على وجه صحيح .

نعم لا تستوي حضارة في بلد لا يتعلم سكان القرى والمدن من اهله ما يلزمهم من المعارف العامة ، ولو تعلم أهل المدن دون أهل القرى ضروب التعليم وانتفت الأمية من بينهم لما استقام لهم وحدهم أمر ، ولا تذوقوا السعادة . فأبن هذا القرن المتمدن لا يعيش الى جنب فلاح أو بدوي لكم ان تقولوا انه لم يتبدل فيه شيء من اقدم عصور التاريخ . ولا أمل بتبديله بغير التعليم الأولى او الابتدائي .

قضى نظام الكون ان تكون الطبقات الثلاث العليا والوسطى والسفلى متداخلة متكافلة لا تخط واحدة منها الا كان في ذلك الضعف على المجموع . فالتعليم الأولى مفروض على كل الطبقات ويكتفي الزراع والعملة والصناع به وحاجة الطبقة الوسطى الى التعليم الثانوي اهل الطبقات العليا يتمتعون بأنواع التعليم على اختلاف درجاته

الأمية علة انحطاط أمتنا ، والداء الذي يجب على كل عاقل ان يسعى الى مداواة

اهله وقبيله منه ، والتعليم الابتدائي اساس النهضة ولا بناء بدون اساس . وأشد ما يعوز الأقطار العربية أن يفكر العارفون في غير العارفين وأن يدرك كبيرنا وصغيرنا ان الواجب علينا ان نخرج الناس من الظلمات الى النور وكما نلقنهم العقائد الدينية يجب ان نلقنهم ان التعليم هو اللقاح ولا مناص من الأخذ بقدر عظيم منه حتى نبرأ من أمراضنا . والجاهل في ذمة العالم ، ومن لا يفهم حصة من يفهم ، ومحال ان يعرف الأمي الأعمى ما يصلحه فواجب جاره البصير ان يأخذ بيده ويدله على الطريق السوي .

* * *

وبعد فماذا كان من أثر النهضة في الممالك العربية وكان يرجى بعقبها بعد جهود سنين ان تزول الأمية من العرب ؟ كانت النتائج ضئيلة بالقياس الى المقدمات . كان ان جملة الملمين بالقراءة والكتابة من المصريين لا يتجاوز مليونين ونصف مليون منهم نحو ستمائة الف انثى ويتجاوز عدد الأميين اثني عشر مليوناً مناصفة بين الجنسين عدا الأطفال الذين ما يزالون دون الخامسة . والحقيقة ان عدد الأميين أكثر مما جاء في الاحصاء لأن سكان مصر عشرون مليوناً لا سبعة عشر منهم مليونان من العرب الساكنين .

وأياً كان فهذا الاحصاء مؤلم لأن مصر ما برحت منذ قرن ونصف قرن تسعى الى التعلم بمختلف الطرق وبعد قرن ونصف قرن بقي فيها التعليم الابتدائي الذي هو بمثابة الخبز من الغذاء على حالة غير مرضية . مصر التي اقبلت على التعلم قبل غيرها وهي اليوم تنفق على جميع مراتب التعليم نحو عشرة ملايين جنيه في السنة عدا ما ينفقه الأفراد والجمعيات الخيرية والطائفية والتبشيرية ما فتئ فيها معدل الأميين عظيماً بالقياس الى أحط أمة من أمم الغرب . مصر وهي في طليعة العرب بعلمها وغناها وعظمها وعظمتها ، والتعليم فيها ما ترون أفلا نقيم الأعذار للأقطار الأخرى على قصورها خصوصاً الولايات التي كانت في حوزة الدولة العثمانية كالعراق والشام وبين النهرين وجزيرة العرب وطرابلس وبرقة . وما كان تعليم الرعايا فيها مما ترضى عنه تلك الدولة وما كان الناس يومئذ على بينة من هذا التقصير ولا

في سعة تمكنهم من مداواة مرض الجهل ورفع هذا العار . ولا يتجاوز عمر نهضتهم الأخيرة خمساً وثلاثين سنة .

ما ادري ان كانت مصر لم تهتد الى طريقة حقيقية للقضاء على الأمية أو انها تتعمد غض النظر عن انهاض التعليم الأولى ليبقى التعليم ارستقراطياً مقصوراً على الموسرين ، ويظل الفلاح فلاحاً لا يستهويه نزول المدن اذا هو ذاق من العلم ما يخرجه عن الأمية ، ومصر على ما يظهر من القديم كانت ولم تبرح ينعم أفراد بخيراتها يتعلمون ويترفهون والكثرة الغامرة لا تستطيع ان تنعم ولا ان تتعلم . مشكلة صعبة الحل نتركها لنظر من هم أعرف بها منا من المصريين ، ذلك ان مسألة التعليم عندهم معقدة ما دام ارباب القوة لا يروقهم إلا إبقاء الشعب على أميته ، وأرباب الاصلاح يتذرعون بإخراجه من جهالته مهما كلفهم الأمر .

جرت اليمن ونجد على طريقة سهلة في إخراج القوم من الأمية وذلك بتعليم الأطفال الكتابة في اللوح مع القراءة فيقرأ الولد آية من الكتاب العزيز ثم يكتبها فترسخ في ذهنه ويتعلم رسم حروفها اي يتعلم الاملاء ويقف عند هذا الحد لا يتعداه ، ولو نظمت هذه الطريقة بنظام العصر لأتت بفوائد أثيرة . ومعدل من يقرأون ويكتبون في ذينك القطرين كثير جداً بالنسبة لمصر ، ولكن العبرة بالطراز الجيد لا بالعدد الكثير .

والأمية شائعة في ريف الشام والعراق وبوادي الحجاز شيوعاً مستغرباً . وقد أخذت تخف في المدن وعدد من يقرأون ويكتبون في هذه الممالك يختلف فيما اتصل بنا من عشرة الى خمس عشرة في المئة . وما برحت الأمية في البيئات الاسلامية أكثر ذيوعاً منها في سائر البيئات . وبعبارة اوضح ان التعليم الابتدائي لم ينتشر الانتشار المطلوب بين الاسماعيليين والعلويين والدروز والشيعة والإباضية والزيدية وأهل السنة كما انتشر بين طوائف النصرانية . وتعليل هذا ان طوائف المسلمين اعتمدت على دولتها فكانت هذه ان لم تحل دون تعليمهم لا تنشطه ، أما سائر المواطنين فأخذوا عن كل من حمل اليهم قبساً من نور بأية لغة وأي مذهب وكان من آثر ذلك ان كثر فيمن تلقفوه التجار والصناع وتكاثر في

الفريق الآخر الموظفون . كانت السمة في الأولين لاستقلالهم في معاشهم والضيق في الاتكاليين من أهل الفريق الآخر .

وليست الأمية في شمالي إفريقية بأقل انتشاراً من غيرها من الأقطار العربية ، وحال تونس أحسن من حال سائر تلك الأصقاع في هذا المعنى ويليها ريف مراكش فان عدد المتعلمين فيه التعليم الأولى والابتدائي لا بأس به وهو يزيد كلما زادت العناية بتعليم أبناء ذاك القطر التعليم الثانوي والعالي أما سائر بلاد مراكش فالأميون بها لا يقلون عن تسعين في المئة مثل الجزائر والتعليم في الجزائر افرنسي محض والكتاتيب التي يسمونها القرآنية قليلة ولا يعلم الا الله متى يخرج سكان الجزائر من الأمية ، وحال طرابلس وبرقة في هذا الشأن أدهى وأمر . وليس في الشعوب العربية شعب واحد تجاوز عدد المتعلمين فيه أكثر من عشرين في المئة من حيث المجموع ماعدا نجد واليمن .

ولعل الطريقة العملية المعجلة للقضاء على الأمية ان تعمد الأقطار كلها الى الطريقة التي عمدت اليها مصر والشام في مكافحة الأمية فإن الشاب او الكهل بفضل الأساليب الجديدة يخرج من الأمية في اربعة او خمسة اشهر يتعلم خلالها القراءة والكتابة وأعمال الحساب الأربعة وما ينبغي لممارسة أركان الاسلام ويقتبس بعض معلومات خفيفة .

على الحكومات ان تبذل جهوداً أكثر مما بذلت في هذه السبيل لمقاتلة الأمية ، وعلى الجمعيات الخيرية أن لا تني أيضاً فيما تمحضت له من تعليم العامة ، ولا ينجي الدول من التبعة ان يزعم لها الزاعمون انها قامت بواجبها ونشرت التعليم بقدر ما ساعدتها موازناتها كما لا يخلص الأهلون من المسؤولية اذا لم يعاونوا معاونة فعلية في نشل الجاهلين من جهالتهم .

وان لنا في سيرة الشعوب الأوربية الصغرى التي استقلت في القرن الماضي كرومانيا وبلغاريا وصربيا واليونان أعظم عبرة فقد حاربت الأمية قبل أن تنشئ المدارس العالية وبذلت من الجهد ما كان منه أن تقدم البلقانيون اكثر من الشعوب العربية تقدماً بيناً هذا مع عراقة العرب في الثقافة ورسوخهم في المعارف

والعلوم قروناً كثيرة . أما الشعوب الأوربية التي حاولت أن تنشئ مجدها من طريق المدرسة كالشعب البولاندي والفنلاندي والمجري وغيرهم فان ما عملته لنشر التعليم في بيئتها مما يفاخر به كل عاقل .

لما جرى تقسيم مملكة بولونيا بين المانيا والنمسا وروسيا اواخر القرن الثامن عشر حكم القسم الرومي حكماً من شأنه أن ينسي أهله لسانهم لأن روسيا القيصرية حظرت على البولونيين ان يتكلموا بلغتهم فضلاً عن ان يتعلموها . أتعرفون ماذا جرى بعد ذلك ؟ كان من النساء البولونيات ان كن يأخذن أولادهن الى الغابات يلقنهم لغة آبائهم ودام ذلك سنين حتى ظنت الحكومة انها حققت ما تريد . ولما تحرر البولونيون في القسم الرومي اوائل القرن العشرين هبوا لتأسيس مدارس فأنشأوا في شهر واحد أربعة آلاف مدرسة تامة بمعلميها ومعلماتها . وهذا درس يجب ان نتعلمه في حب القومية الصحيحة . يتوقع الشرقي كل شيء من حكومته ولا تحدثه نفسه ان يكون هو شيئاً وان يقوم واجبه على ما يجب عليه . والحكومات في الحقيقة لا تقدر ان توفي كل شيء حقه وهناك واجبات كثيرة هي من شأن الأمة .

حزّت أمية الشعوب العربية في قلبي فحاربتها بالقلم واللسان خمسين عاماً ونوعت الأساليب للدعوة للتعليم الابتدائي وكنت في وزارة المعارف أحاول أن أخصه بقسط عظيم من موازنتها . ولو كان لي من الأمر شيء لقضيت على كل بلد أن يكون التجنيد فيه اجبارياً لأعلم الأميين من المجندين ، والى ذلك أحكم على كل من يحمل شهادة ثانوية أو عالية أن يخدم سنتين في المدن أو القرى براتب خفيف يجبى من الأهلين او يعلم مئة تلميذ وتلميذة ولا أتركه يمارس مهنته إلا إذا خدم أمته هذه الخدمة . وهناك رأي متطرف لمكافحة الأمية وهو أن توقف دروس الجامعات والتجهيزيات وتصرف العناية بدور المعلمين والمعلمات عشر سنين يتمحض خلالها الأساتذة والتلامذة لتعليم الأميين والأميات ويومئذ يأخذ الفقراء والأغنياء وسكان القرى وسكان المدن حقهم من التعليم وتصبح الأمة ذات تربية «مثالية» كما يقولون وتدخل الأقطار في طور مدنية حقيقية .

محمد كرد علي

الفاظ التصنيف في الفقاريّات

- ٢ -

(٢) الجواثم Passereaux — تختلف طيور هذه الرتبة بأشكالها وصفاتها . وأشد ما فيها اختلافًا مناقيرها ، ولذا يجعلون المناقير أساسًا لتقسيمها رتيبات أو قبائل . وهم يقسمونها باديء بدء قسمين : ملتصقات الأصابع Syndactyles ومنفصلات الأصابع Déodactyles ففي الأولى الخُضّاريات Méropidés منها الخضار المسمى وَرْوار Guêpier والقِرِلّيات Alcédinidés منها القِرِلّى Martin - Pêcheur ويسمى الرفراف وصياد السمك في الشام .

وفي القسم الثاني أهم الجواثم الحقيقية وهو يشتمل على الرتيبات الآتية (١) مشقوقات المناقير Fissirostres منها السُّبَدِيّات أي فصيلة السُّبْدان Caprimulgidés ومن طيورها السبد (ابو عُمَيّ) Engoulevent . ومن مشقوقات المناقير أيضًا الخطّافيات Hirondinidés منها الخطاف Martinet والسنونو Hirondelle .

(ب) رقيقات المناقير Tenuirostres — لهن مناقير طوال دقاق إما مستقيمات أو محدبات كالهدهديات اي فصيلة المداهد Upupidés ومنها الهدهد Huppe ، وكالمتوقلات Certhidés منها المتوقل Grimpereau والدابّ Grimpereau de muraille أو Echelette .

(ج) مخروطيات المناقير Conirostres — لهن مناقير غلاظ صلاب مخروطيات كالشُرْشُوريات Fringillidés منها الشُرْشور Pinson والدُوْري (نسبة الى الدور) Moineau والحسُّون أو الشويكي Chardonneret والأخضر (خضيري في الشام) Verdier والكنار Serin .

وكالقُرقُفيات Paridés منها القُرْقُف Mésange . وكالقبّريات Alaudidés منها القبّرة Alouette .

(د) غرابيات المناقير Coracirostres . — لها مناقير صلاب طوال . ومن فصائلها الغرابيات أي فصيلة الغربان Corvidés وهي تشمل الغراب الأسحم Corbeau commun والزاغ Corneille noire والقاق C. cendrée والغداف Freux وغراب الزرع Choucas والعقعق Pie والقيق (أبوزُرَيق في الشام) Geai . ومنها الزرزوريات Sturnidés وهي تشمل الزرزور Etourneau commun والسرمرمر E. rose وبلسان الملح Pastor roseus .

(هـ) سِنِّيات المناقير او مشرومات المناقير Dentirostres . — لمنقارها سنّ ظاهرة أو خفية في رأس الفك الأعلى . منها الذُعَريات Motacillidés نسبة الى الذُعَرة (ام سكعكع في الشام) Bergeronnette . ومنها الصُرَديات Lanidés نسبة الى الصرَد Pie - grièche . والدُخَّليات اي فصيلة الدخل أو الدخاخيل Sylviadés وهي تشمل الدُخَّلة Fauvette وابا قلنسوة Fauvette à tête noire (رأس الذكر أسود ويسمى الخوري في لبنان وجبل الشيخ ورأس الأنثى أمغر او اسمر الى حمرة وتسمى الشياص والقسيس . ومن اسماء هذا الطائر في الشام ابو التين وعصفور التين وهو مشهور) والصَعْوَة Roitelet والهزار أي العندليب Rossignol . ومنها الشحروريات Turdidés وهي تشمل الشحرور Merle والسُمنة Grive (سُمّن في الشام . أما السُماني في اللغة فهو ما يسمى فِرّي في الشام اي Caille) وأبا الحنّاء (ابو الحنّ في الشام) Rouge - gorge .

(٣) المتسلقات Grimpeurs . — من اقرباء الجواثم حتى ان بعض علماء المواليد يصنفونها في رتبة الجواثم . وتعرف باصبعين متجهتين الى الأمام واصبعين متجهتين الى الوراء . منها النقّاريات Picidés نسبة الى النقّار ويسمى القراع (نقار الخشب في الشام) Pic . ومنها الوَقواقيات Cuculeidés نسبة الى الوقواق Coucou وهو « التيقب » في الشام .

(٤) الببغاوات Perroquets . — لها مناقير ثخان صلاب مستديرات معقوفات

من أصولها . ولها اصبعان الى الأمام واصبعان الى الوراء . وهي اجناس وانواع كثيرة ، وتسمى الببغاء الدُرّة وكلاهما فصيح اي معرَّب قديماً .

(٥) الحماميات Colombins . — بين الجواثم والدجاجيات . مناقيرها ضعاف مستقيمات غشائيات منتفخات في أسافلها . وفي هذه الرتبة الحمام Pigeon واليمام Pigeon bleu والوَرَشان Ramier والأطرغلّة وتسمى الصلصل Tourterelle الخ .

(٦) الدجاجيات Gallinacés . — منقارها مقبب متوسط الطول وأرجلها صلاب فيها أظفار ثخان قوية صالحات للتنقير في التراب . ومغرز الاصبع الخلفي فوق مغرز البقية . واجنحتها قصار ، وطيرانها ثقيل . وهي من أنفع الطير للإنسان . منها التُذرُجيّات Phasianidés وهي تشتمل على الدجاج وعلى التذرج Faisan والطاووس Paon والغِرْغِر او قل الحُبَيش أو دجاج فرعون Pintade والديك الرومي أو الحبشي أو الهندي Dindon . ومنها الطيهوجيات Tétraonidés وهي تشمل الطيهوج الكبير Tétras والطيهوج Gélinotte والحجل Perdrix والسُمانَى (فري في الشام) Caille .

(٧) طويلات الساق Echassiers . — تعرف بسوقها الطوال العريانة في أسافلها مما يساعدها على السير في الماء الضحضاح دون ان يبتلّ ريشها . ومن هذه الرتبة دجاجيات الأرض Scolopaciens وهي تشمل دجاجة الأرض Bécasse والكروان Courlis . ومنها التفلقيّات Rallidés وهي تشمل التفلق Râle ودجاجة الماء Poule d'eau . ومنها الحُباريّات Otididés نسبة الى الحبارى Outarde . ومنها اللقلقيات Ciconidés نسبة الى اللقلق Cigogne . والكركيات Gruidés نسبة الى الكركي Grue ويسمى الرهو والغرنوق . ومنها الزقزاقيات Charadriadés نسبة الى الزقزاق Pluvier ومنها البلشونيات Ardéidés نسبة الى البلشون وهو مالك الحزين Héron .

(٨) كفيّات القدم (أو اليد أو الرجل) Palmipèdes . — لها اصابع منصلة كفية مما يسهل حركتها في الماء فهي اذن سبّاحات . وأرجلها قصار

صلاب ٠ وفي هذه الرتبة اربع رتيبات وهي (١) طويلات الريش Longipennes وفيها طيور قوية يطرن فوق البحار المحيطات كالبطرسي (عن الأب أنستاس) Albatros وزُمَج الماء Goéland ٠ (ب) شاملات الكف Totipalmes اي التي يشمل غشاؤها الكفي كلّ الأصابع ٠ وفيها البجعيّات Pélicanidés وهي تشمل البجع ويسمى الحوصل Pélican ، والغاق Cormoran ٠ (ج) صَفيحيّات المناقير Lamellirostres ومن طيورها الوزّيات Ansérides نسبة الى الوز Oie وهي أنواع ، والبطّيات Anatidés نسبة الى البط Canard وهي أنواع أيضاً ٠ والنحاميات Phénicoptéridés نسبة الى النحام Flamant ٠ ومن هذه الرتيبة التمّ ويسمى الوز العراقي Cygne ٠ (د) عديمات الريش Impennés بعضها لها ريش صغار مخطة وبعضها مفقودات الريش ٠ ومنهـا البطريقيات Alcidés نسبة الى البطريق Pingouin ٠

— الثدييات – اللبّونات —

الثدييات أعلى الحيوانات وأكملها ترتيباً ٠ وهي تقسم قسمين كبيرين اللامشيميات Mammifères non placentaires والمشيميات M. placentaires ٠ وفي القسم الأول رتبتان وهما وحيدات المسالك Monotrèmes والجرابيات او قل الكيسيات Marsupiaux ٠ أما القسم الثاني ففيه ثلاث عشرة رتبة ٠

فوحيدات المسالك ادنى الثدييات واقربهن من الزحافات ، وهن بيوضات ، ليس لهن سوى مسلك واحد تنتهي اليه اعضاء التناسل والهضم والبول ٠ ومنها خلد الماء Ornithorhynque والنضناض أي قنفذ النمل Echidné ٠

والجرابيات ولودات ٠ لكن أولادها تكون صغيرة عند ولادتها ثم تنمو وتتكامل في كيس يسمى الجراب ٠ وبعض الجرابيات لواحم ، وبعضها ثمريات أي تأكل الثمر Frugivores ٠ فمن الأولى فصيلة الفُرَيراوات الجيبية Péramélidés وجثيلات الأذناب Dasyuridés ٠ ومن الثانيـة طويلات الرجل وهي القنقريات

Macropodidés واليها ينسب القنقر Kangouroo · ومنها فصيلة السُلاميات Phalangistidés وفصيلة الجرذان الجرابية Phascolomidés · أما المشيميات فتشمل معظم الثدييات ورتبها الثلاث عشرة هي :

(١) الدُرْد Edentés — وهي ثدييات مخطة ولا سيما في اسنانها · منها الدائبات وتسمى فصيلة الكسالى Bradipodidés · واليها ينسب الكسلان ويسمى الداب Paresseux او Bradype · ومنها الحشريات اي آكلات الحشرات Entomophages وفيها بضع فصائل منها آكلات النمل Myrmécophagidés والحافرات او المُنْجَحِرات Oryctéropidés واليها ينسب خنزير الأرض Cochon de terre والقرفيات Manidés منها أم قرفة Pangolin ·

(٢) الحوتيات — الحيتان Cétacés — وهي تعيش في البحار وتشمل البال Baleine والعنبر Cachalot والدلفين ويسمى الدُخس Dauphin وحريش البحر ويسمى كركدن البحر Narval وخنزير البحر Marsouin الخ ·

(٣) الخيلان — بنات الماء Siréniens — وهي تعيش في الماء كالحيتان وليس لجلودها شعر · وأجسامها تشبه السمك · منها الأُطوم Dugong وخروف البحر Lamantin ·

(٤) مفردات الأصابع Périssodactyles — سميت كذلك لأَن لها أصابع مفردة احداها وهي الوسطى قد نمت اكثر من رفيقاتها · وهي تشمل ثلاث فصائل (١) الخيليات Equidés ولها اصبع واحدة ، ومنها الفرس Cheval والحمار Ane والعتّابي اي حمار الزَرَد Zèbre والأَخدري Onagre وَفرأ التِبِت Hémione (ب) الكركدنيات Rhinocéridés نسبة الى الكركدن ويسمى وحيد القرن Rhinocéros وله ثلاث اصابع في كل رجل (ج) التابيريات Tapiridés نسبة الى التابير (معربة) Tapir ·

(٥) مزدوجات الأصابع Artiodactyles — وهي تعرف بأصابع مزدوجة في أرجلها · منها (ا) الجسئيات (من الجسء وهو الجلد الصلب) وتسمى صفيقات

الجلود Pachydermes واليها تنسب الخنزيريات Suidés، فرس النهر Hippopotame
(ب) المجترات Ruminants وفيها فصائل عديدة مهمة منها الجمليات او قل الإبليات
Camélidés . وهي تشمل الجمل العربي وهو ذو السنام الواحد Dromadaire ،
والفالج وهو ذو السنامين Chameau à deux bosses ، وجمال أمريكة كالألبكة
Alpaca واللامة Lama . (ب) الإيّليات اي فصيلة الأيايل Cervidés منها
الإيّل Cerf والإيّل الآدم Daim واليحمور Chevreuil والرنة Renne . (ج) الغنميات
Ovidés وهي تشمل الضائن Mouton والماعز Chèvre والأروية Ovis Lervia
والوعل Bouquetin . (د) البقريات Bovidés وفيها البقر Bœuf والجاموس
Buffle والدّرْبانية Zebu والجيهل Gayal والبيسون Bison . (ه) الظباء Antilopes
منها الظبي الهندي Antilope des Indes والمهاة Antilope de Nubie
وبلسان العلم Antilope addax والغزال Gazelle وهي أنواع .
(و) الزرافيات Girafidés نسبة الى الزرافة Girafe .

(٦) الخرطوميات Proboscidiens — وفيها فصيلة الفيليات Eléphantidés
تشمل الفيلة المعروفة وانواعاً متحجرة . والرتب الثلاث الأخيرة اي مفردات الأصابع
ومزدوجات الأصابع والخرطوميات يجمعونها في حلقة تسمى الحافريات أي ذوات
الحافر Ongulés .

(٧) القواضم — القوارض Rongeurs — تقتات بالمواد النباتية كالثمار والحبوب .
وهي اكثر اللبونات عدداً (٧٥٠ نوعاً او اكثر) ومن فصائلها (ا) الفأريات
Muridés وهي تشمل الجرذ والفأرة وفأرة الحراج Mulot وجرذ المراحيض
Surmulot . (ب) فئران الزرع Arvicolidés وفيها فأرة الزرع Campagnol .
(ج) الخلديات اي فصيلة المناجذ Spalacidés وفيها الخلد المعروف في بلادنا
ويسمى Rat - taupe وبلسان العلم Spalax typhlus وهو غير الخلد الأوربي
المسمى Taupe (د) السنجابيات أي فصيلة السناجيب Sciuridés منها السنجاب
Ecureuil والمرموط Marmotte . (ه) القُنْدُسيات Castoridés نسبة الى القندس

Castor · (و) اليربوعيات Dipodidés نسبة الى اليربوع Gerboise وهو أنواع · (ز) الشيهميات اي فصيلة الشياهم Hystricidés منها الشيهم ويسمى النيص والدلدل Porc - épic (ح) الكابيائيات Caviadés وفيها الكوبي Cobaye ويسمونه خنزير الهند Cochon d'Inde على حين انه ليس فيه شيء من الخنازير ولا من الهند . وفيها الكابياء Cabiai واسمها العلمي Hydrochaerus ومعناه خنزير الماء · (ط) الأرنبيات Léporidés وفيها الأرنب الأهلية Lapin domestique والأرنب البرية Lapin de garenne والأرنب الوحشية Lièvre·

(٨) الحشريات – آكلات الحشرات Insectivores — اهم فصائلها(١) القنفذيات Erinacéidés نسبة الى القنفذ Hérisson (ب) الطوبينيات Talpidés نسبة الى الطوبين Taupe أي الخلد الأوربي (ج) الزبابيات Soricidés نسبة الى الزبابة Musaraigne ·

(٩) الزعنفيات – زعنفيات الأقدام Pinnipèdes — وهي لواحم الفت حياة البحار واستحالت أقدامها زعانف للسباحة منها (١) الفقميات Phocidés نسبة الى الفقمة Phoque وتسمى عجل البحر · (ب) فيلة البحر Trichécidés منها فيل البحر Morse أو Eléphant de mer ·

(١٠) مجنحات الأيدي Cheiroptères -- هي حشريات تكيفت للطيران · وقد لبثت فيها اسنان الحشريات ، لكنّ أيديها الأمامية انقلبت اجنحة ، اي ان اصابعها استدقت واستطالت كقضبان الشمسية ، وامتد عليها غشاء جلدي فأصبحت أداة للطيران ·

وهذه الرتبة تقسم رتيبتين وهما الثمريات أي آكلات الثمر Frugivores وفيها الوطواطيات اي فصيلة الوطاويط Ptéropidés او Roussettes · والرتيبة الثانية الحشريات أي آكلات الحشرات Insectivores وفيها عدّة فصائل منها (١) الخفاشيات اي الخفافيش Vespertilionidés وفيها الخفّاش المعروف Chauve - souris ordinaire والخفاش الآذن Oreillard · (ب) الوَرَقيات

او قل ورقيات الفم Phyllostomidés ومنها النزّافة وتسمى العَلُوق والعَوْلَق Vampire . (ج) العُرْفيات او قل عرفيات المنخر Rhinolophidés (د) الجلديات أي كبيرات الجلود Mégadermes الخ .

(١١) اللواحم — اللحِيات — اللاحمات Carnivores — وهي التي قوتها اللحم، وفصائلها مشهورة معروفة منها (١) السِّنَوريات (وهي اصلح من رفيقاتها القطيات والهريات والخيطليات والخيدعيات وكلها من اسماء السنانير) Félidés وفيها الهر والأسد والبَبْر Tigre والنمر Léopard او Panthère والوشق Lynx والعناق ويسمى عناق الأرض Caracal الخ . (ب) الكلبيات Canidés وفيها الكلب والذئب وابن آوى والثعلب وجميعها معروفة . (ج) الضبعيات Hyénidés وفيها انواع من الضباع . (د) الزباديات أو الرباحيات Viverridés فيها الزبادة وتسمى سنّور الزباد Civette والزباح أي الزريقاء Genette (هـ) العِرسيات او فصيلة السراعيب Mustélidés وفيها السمور Marte Zibeline والخز Marte Commune وابن عرس Belette والقاقم Hermine والغُرَير Blaireau والدَّلق Fouine (ويسمى النمس في لبنان، والنمس غيره) وابن مقرض Furet والقضاعة أي كلب الماء Loutre . (و) الدبّيات Ursidés وفيها أنواع الدببة .

(١٢) المقدَّمات — الرئيسات Primates — وهي حيوانات تكيَّفت ايديها وصارت صالحة للقبض على الأشياء . وشملت هذه الصفة الأرجل في بعض الأنواع . ويقسمون اليوم الرئيسات ثلاث رتيبات وهي المبّاريات أو قل الهوبريات Lémuriens او Prosimiens وفيها المبّار Lemur [للأب أنستاس عن معجم الحيوان] والماكي Maki . (٢) القرديات اي القرود Siminiens وهي قسمان الأول سفليات المنخرين Catarrhiniens اي اللائي لهن أنف نخرتاه [أي منخراه وهما الخرقان اللذان يخرج منهما النفس] متقاربتان ونقباهما تحت الأنف . وهي غالباً قصار الأذناب أو بلا أذناب . والقسم الثاني الفنطاسيات وتسمى الخشاوات Platyrrhiniens وهي ذوات الأنوف العراض لهن يمان

[ثقب المنخرين] جانبيان بينهما وتيرة [حجاب ما بين المنخرين] ثخينة . وهي ذيالة أي طوال الأذناب .

فالفنطاسيات كلها امريكية . ومنها فصيلة القرود الدبية وتسمى اقزام القرود Arctopithèques او Hapalidés وفيها اصغر القرود وتسمى وسطيطي Ouistiti .

وتشتمل سفليات المنخرين على عدة فصائل منها (١) كلبيات الرؤوس اي القردوحيات Cynocéphales منها القردوح Babouin والرُّبح ويسمى الرُّبّاح Papion والقردوح الخنزيري Chacma والميمون اي القردوح المزواج Mendrill (ب) الذنبيات اي القرود المذنبة Cercopithèques وهي فصيلة « السعادين » شمل قرد المغرب Magot والمجرس « نسناس » Guenon وهو ذيال اي طويل الذنب ، والمكاك Macaque وهو قصير الذنب . (ج) الرصينات أي القرود الرصينة Semnopithèques وسماها صاحب معجم الحيوان القرود المقدسة لأن الهنود يقدسون احد انواعها . وهي ذيالة أقل طيشاً وضجيجاً من القردة السائرة ولذا سميت الرصينات (د) اشباه الانسان Anthropomorphes وهي قرود كبار منها السعلاة Chimpanzé والعامة Orang - outang والغول اي الغورلى Gorille والشق Gibbon ، وكلها من وضع الدكتور امين باشا المعلوف صاحب معجم الحيوان . ولا أدري هل عند العلامة الأب أنستاس ما يرجحها فهي ليست من اختصاصي . (٣) أما الرتيبة الثالثة والأخيرة من رتيبات الرئيسات فهي البشر اي البشريات Hominiens وهي لا تحتوي على غير جنس الإنسان Homo .

هذه أهم الألفاظ المختصة بتصنيف الحيوانات العليا فلعلّ فيها فائدة للذين تهمهم هذه الاصطلاحات العلمية . ومن المعلوم ان بحثي هذا ليس درساً في الحيوان ، أي انني لم أهتم فيه لغير الفاظ التصنيف مما وضعته أنا او مما نقلت أجوده عمن سبقني الى وضعه .

مصطفى الشهابي

القضاء اللبناني [1]

الوجهة التاريخية

- ٢ -

تمهيد . — قال أحد خطباء المؤتمر :

(من المتفق عليه علماً ، أن لكل أمة في دائرة سيادتها الحرية المطلقة في تنظيم كيانها على الأسس التي تريد) .

نقول : ليس هذا موضوع جدال ولا خلاف ، فمن ذا الذي أنكر هذا ؟ أو من قال : ان قطراً من الأقطار العربية يريد ان يكره غيره على شريعة يريدها هو له ، ولا يريدها هذا لنفسه .

لا ! لم يفكر في هذا أحد ، وغاية الأمر ان جمهرة من رجالات القانون في البلاد العربية ، تداعوا الى عقد مؤتمر عربي يتعارفون فيه ، ثم يتذاكرون فيما اذا كان من المصلحة العامة لهذه الأقطار مجتمعة ، ومن المصلحة الخاصة لكل قطر منها منفرداً ، أن يوحدوا قوانينهم ومعاملاتهم ، أو يقربوا ما بينها ؛ ثم ما هي الطرق والوسائل لذلك ؟

والغرض من هذا كله ، تسهيل الأعمال المتشابهة المتماثلة ، في هذه البقاع المتجاورة المتداخلة ، وتأليف القلوب بين هذه الشعوب : الواحدة اللغة واللسان . فليس ثمة اعتداء على سيادة ، ولا تعرض لحرية ولا سلطان ، ولا اكراه على تنظيم كيان .

فلو أجمع اللبنانيون ، أو اتفقت كثرتهم الغالبة ، أو كثرتهم الرسمية ؛ على ان تكون قوانينهم منفصلة مستقلة ، لا تمت بسبب من الأسباب ، الى سائر الشرائع والقوانين في سائر البلاد العربية ؛ لكان لهم رأيهم الذي يجب ان يؤخذ به ،

(١) تابع لما نشر في الصفحة الـ ٣٠٥ من الجزء السابع المجلد العشرين من مجلة المجمع العلمي ، وهو ملخص المحاضرة التي ألقيت في مؤتمر المحامين المعقود بدمشق في ١٢ آب ١٩٤٤

ويبقى اشتراعهم عليه ؛ لا يحق لأحدٍ من غيرهم أن يتعرض له ، أو يناقشهم فيه .

ثم لماذا هذه الـ[لو] والافتراض ، بعد ان وقع استقلال الاشتراع الحديث في لبنان فعلاً ، فوضعت القوانين الجديدة : [قانون الموجبات] و [قانون المحاكمة المدنية] و [قانون التجارة] و [قانون العقوبات] وغير ذلك من الأنظمة التي وضعت في لبنان ، من غير أن يكون لشيء منها صلة او علاقة ، بشرائع الأقطار العربية الأخرى وقوانينها .

ولو أن اللبنانيين غالوا فقالوا : إننا لا نريد — في الحاضر ولا في المستقبل — أن نضع موضع البحث حتى وحدة الاشتراع بيننا وبين الأقطار العربية ، لكان لهم رأيهم أيضاً ، لا جدال فيه ولا نقاش .

فرغبة الشعوب وإرادتها حق مقدس ، لا يملك من يأخذ نفسه بالحق والعدل أن يعبث به ، أو يعتدي عليه ؛ وانما يملك ذلك الأقوياء الظالمون .

الى هنا نقف موقف الحياد والحرمة ، لا نختلف ولا نبدي ولا نعيد ؛ ولكن الأمر الذي نختلف فيه ، أن يقال : ان هذا الاستقلال لا يقوم على الرغبة والارادة ، ولكنه يقوم على ركنين أساسيين هما : التاريخ والوضع الاجتماعي :

فنؤلف الرسائل في استقلال القضاء اللبناني ، وفي استمرار هذا الاستقلال في التاريخ ؛ ثم يُحال له مرة أخرى بالوضع الاجتماعي الذي نعود اليه في مقالنا الآتي . نعم ! هنا نختلف ، ذلك انه اذا كان للرغبة والإرادة حرمة عندنا ، فإن للتاريخ والحق مثل هذه الحرمة . فنحن لا نريد التاريخ مرتجلاً تمليه النزعات الجامحة ، ولا نريد الحق مشوهاً ، لا يقرّه الواقع المشاهد ، الثابت القائم الى يومنا هذا .

لمحة تاريخية . — أما من حيث التاريخ فان القضاء اللبناني [1] ظل ثلاثة عشر

(١) نريد بلبنان ، في هذا الحديث ، هذه الجبال التي كان يتألف منها مقاطعتان : مقاطعة الجنوب ، وكانت تابعة لصيدا وتعرف بجبل الدروز ، وأحياناً جبل ابن معن وحيناً جبل الشام ، ومقاطعة الشمال وكانت تابعة لطرابلس وتعرف غالباً بـ[لبنان] وتلتقي هاتان المقاطعتان في موضع يعرف الى اليوم بـ[المقاطعتين] ؛ ثم تألفت منها إمارة لبنان ، في عهد الأمير يوسف الشهابي ثم عادت هذه الامارة بعد سقوط الحكم الشهابي فانقسمت قائمقاميتين : قائمقامية الدروز ، —

قرناً وتزيد ، القضاء نفسه الذي كان في سائر البلاد العربية ، لا يختلف عنها في كثير ولا قليل ؛ فكان القاضي يقضي بالشريعة الاسلامية ، فاذا خيف انحرافه عنها لجهل أو عجز ؛ ارسلت احكامه الى قاضٍ مشهور بعلمه ، موثوق بمعرفته الشرعية ، سواء أكان في لبنان أم خارج لبنان ، ينظر فيها . فيجيزها ، إذا كانت موافقة للشرع ؛ ويعدّل فيها ، أو يصحح ما هو مخالف له .

أما المسائل العويصة ، فكان يبعث بها قضاة لبنان الى قضاة بيروت ، أو طرابلس أو صيداء : المدن التي كان لبنان تابعاً لها كله أو بعضه ، زمناً بعد زمن .

وكان بعض أبناء البيوتات ، وطلاب العلم ، يرحلون في طلبه الى بيروت وصيداء وطرابلس ؛ ومنهم الى دمشق وبعضهم الى مصر :

أما تسجيل البيوع والأوقاف ، والحكم بصحتها فكان المهم منها يسجل أكثره في طرابلس ثم دمشق ، اذا كان العقد تابعاً لمعاملة طرابلس ، وفي بيروت فصيدا فدمشق ، اذا كان تابعاً لمعاملة صيدا ، ومنها ما كان يسجل في دمشق ابتداء [1]

— وقائمقامية النصارى ، ثم أصبحت بعد التقسيمات الادارية العثمانية سبعة أقضية : الشوف وهي قائمقامية درزية ـ والمتن وكسراون والبترون وجزّين ، وهي قائمقاميات مارونية ، والكورة وهي قائمقامية أرثوذكسية ، وزحلة وهي قائمقامية كاثوليكية ، ومديرية دير القمر وهي مديرية مارونية أيضاً .

أما ما الحق بلبنان من ولاية بيروت ، وهي : بيروت « المدينة » وطرابلس ، وصيداء ، وصور ، وملحقاتهن ؛ وما ألحق به من أعمال سورية ، وهي : بعلبك ، والبقاع ، وحاصبيا ، وراشيا ؛ فهذه ليست موضع بحث في حديثنا هذا ، لأنه لم يزعم أهلوها ولا أحد منهم ان هذه الملحقات بلبنان ، كان قضاؤها مستقلاً ، أو منفصلاً عن سائر البلاد العربية ، والولايات العثمانية .

(١) نضرب على ذلك مثلين اثنين من عشرات المعاملات التي اطلعنا عليها :

أ — وقف الأمير جمال الدين عبد الله التنوخي الملقب بالسيد والمدفون في عبيه من اعمال الغرب [قائمقامية عالية اليوم] هذا الوقف نظم كتابه وصدّق في بيروت ثم في صيدا ثم في دمشق .

ب — «في أواسط القرن السابع عشر طلع الشيخ أبو نادر الخازن الى عجلتون لينظر فيها أرزاقه ، ثم زار حراجل واشترى فيها بعض الأملاك وسجلها في دواوين الدولة السنية بالشام . [مجلة المشرق اليسوعية سنة ١٩٠٠ المجلد الثاني ، الصفحة ٣٥١] .

وعجلتون وحراجل من قضاء كسروان [من لبنان الصغير] .

ظلت الحال على هذا ، الى ان استولت الدولة المصرية على الشام ومنها لبنان (١٨٣٣ — ١٨٣٩) فقسم ابراهيم باشا المصري لبنان ثلاث مناطق قضائية ، ولّى عليها من قبله ثلاثة قضاة . أولهم شيخ درزي ، جعل مقره بيت الدين ودير القمر ؛ والثاني اسقف ماروني جعل مقره غزير ؛ والثالث شماس ماروني في زغرتا . وقيّد هؤلاء الحكام بنصوص الشريعة الاسلامية مع مراعاة عادات البلاد .

وسنة ١٨٤٥ وضعت للبنان التنظيمات التي عرفت بـ [تنظيمات شكيب افندي] فقسمت لبنان قائمقاميتين: قائمقامية الدروز وهي من طريق بيروت — دمشق والى الجنوب ، وقائمقامية النصارى وهي من هذه الطريق والى الشمال ، ونظر الى دير القمر نظرة خاصة ، ففصلت عن قائمقامية الدروز ، وهي في قلبها ، وأقيم عليها حاكم عام مسلم تركي ، أرسلته الدولة العثمانية ، وأطلق عليه لقب [المتسلّم] ، وكان مرجعه ومرجع القائمقامين كليهما ، والي صيدا ومقره في بيروت .

وأنشيء في كل قائمقامية من القائمقاميتين ، وفي دير القمر ، مجلس قضاء يفصل في الدعاوي ، الا المهم منها فكان يرسل الى بيروت ، وكان الحاكم في دير القمر ، والقائمقامان هم الذين ينفذون الأحكام التي تصدرها مجالس القضاء ، عدا الجنايات فكان يصدِّقها والي الايالة .

وسنة ١٨٦٠ وضع نظام لبنان المعروف ، وأنشيء في كل قضاء محكمة كانت تعرف بـ [مجلس المحاكمات] مرجعها ديوان المحاكمات الكبير ، في مقر المتصرفية الذي كان يطلق عليه اسم [المركز] ، وكان يكون بعبدا شتاء وبيت الدين صيفاً ؛ وعيّن الى جانب هذه المجالس [محامٍ عن حقوق الحكومة] يدافع عن الحكومة ويسهر على تطبيق أحكام الشريعة ، وهو الشيخ يوسف الأسير البيروتي الصيداوي ، وكانت هذه المحاكم والمجالس تفصل في القضايا المدنية والجزائية ؛ أما التجارية فكانت ترسل الى بيروت : خارج لبنان .

وفي سنة ١٨٨١ اعلنت الدولة العثمانية [التنظيمات الخيرية] ووضعت القوانين النظامية ، أخذت أكثرها عن أوروبة ، وأدخلتها في ولاياتها كلها — ومنها متصرفية جبل لبنان — وأحدثت في الولايات السورية — ومنها لبنان — دائرة تفتيش

واحدة ، تولاها أحمد عزة العابد ، وألفت المحاكم اللبنانية وفق التنظيمات العثمانية العامة [١] .

وسرت على لبنان القوانين العثمانية بأمرها : [مجلة الأحكام العدلية] ، و [اصول المحاكمات الحقوقية] ، و [قانون الجزاء الهمايوني] ، و [أصول المحاكمات الجزائية] ، و [قانون التجارة] ، و [قانون الاجراء] ، أي التنفيذ ، ثم [قانون حكام الصلح] ، و [قانون العائلة ، وهو قانون الأحوال الشخصية] ، و [أصول المحاكم الشرعية] .

وعلى الجملة جميع القوانين والأنظمة بتفرعاتها ، وتفسيراتها ، وشروحها ، وملاحقها ، وتعديلاتها ، وذيولها ؛ كما سرت عليه جميع البلاغات والتعليمات والمقرّرات .

ولما كانت محكمة التمييز في القسطنطينية مرجع المحاكم اللبنانية ، ترفع اليها الأحكام المميزة من حقوقية وجزائية وشرعية حتى المذهبية [٢] .

---

(١) لم يكن من فرق في تأليف المحاكم بلبنان عما هو في سائر الولايات العثمانية إلا في عدد قضاة الاستئناف ، فقد كانت المحكمة الاستئنافية في الولاية يؤلفها خمسة حكام رئيس وأربعة أعضاء ؛ وكانت في لبنان يؤلفها سبعة حكام رئيس وستة أعضاء ، مراعاة للتمثيل الطائفي . كان رئيس المحكمة الحقوقية الاستئنافية مارونياً ، وكان رئيس محكمة الجنايات — وهي أيضاً المحكمة الجزائية الاستئنافية — درزياً ، وكانت تتألف كل محكمة من المحكمتين [أو دائرة من الدائرتين كما كانت تسمى] من عضو سنيّ ، وعضو ماروني ، وعضو درزي ، وعضو ارثوذكسي ، وعضو كاثوليكي ، وعضو شيعي . ثم زيد عليهم في أواخر العهد عضو انجيلي [بروتستنتي] ، لا يحق له أن يحضر المحاكمات إلا في الدعوى التي يكون فيها أحد الخصمين إنجيلياً ؛ وكان تقدم الأعضاء على الترتيب الطائفي الذي ذكرناه ، ولا عبرة معه للقدم ولا للسن الذي يراعى في المحاكم عادة . وجعل هذا الترتيب تبعاً لمكانة الطائفة العددية وحيناً لمنزلتها ولثروتها . وقدم العضو السني — وكان من حيث عدد طائفته من حقه أن يؤخر — لأن السنة مذهب الدولة .

(٢) الشيء الذي كان يختلف في لبنان عن سائر الولايات من حيث المعاملات ، هو الدمغة [ورق البول] أو طوابع بلغة اليوم : استثنته من ذلك تذكرتان ساميتان : الأولى مؤرخة في ٢٥ جمادي الأولى سنة ١٢٩٣ = ٢ حزيران سنة ١٢٩٢ ، معللة هذا الاستثناء بـ « فقر الجبل وكون تكاليفه مقطوعة ، فليس من المصلحة أن تنفذ فيه أحكام النظامات » ؛ والثانية في معنى الأولى وتزيد عليها : [ان هذا الاستثناء ينبغي أن ينحصر في داخل لبنان فلا يتجاوزه الى خارجه] .

كان مجلس الشورى في العاصمة العثمانية ، المرجع الأعلى لقرارات مجلس الإدارة بلبنان [١] .

واستمرت الشريعة الاسلامية وهذه القوانين ، قوانين لبنان وشريعته ؛ الى بضع سنين خلت ، ومنها ما لا يزال معمولاً به فيه الى يومنا هذا ، ومنه ما سيظل جارياً الى مستقبل لا نعلم مداه ولا منتهاه [٢] .

هذا هو القضاء اللبناني وهذا هو تاريخه ، فهل يستطيع رجل أوتي شيئاً من العلم ومعرفة التاريخ أن يقول غير هذا ؟

وهل في هذا الذي ذكرناه ، ما يثبت للقضاء اللبناني استقلالاً أو امتيازاً في أوضاعه وشرائعه ، وتنظيماته وقوانينه يختلف عن سائر الأقطار العربية ؟

عارف النكدي



(١) الاعلامات الصادرة في مجلس ادارة لبنان تستأنف الى شورى الدولة وبذلك أمر سام مبني على قرار دائرة التنظيمات مؤرخ في ١٢ محرم سنة ١٣١٢ و ٤ تموز سنة ١٣١٠

(٢) يتزل اللبنانيون حتى اليوم في مواريثهم على حكم الشريعة الاسلامية . وعلى الرغم من أن بعض الطوائف والمذاهب الدينية ، وضع لها قانون للوصية ، فالغالب في هذه الطوائف والمذاهب نفسها ، أن لا توصي ؛ بل وأن تعتمد على الارث الشرعي ، لأنه مستمد من ميولها وحاجاتها ، موافق لطبائعها وعاداتها .

الكلم العربية في اللغى الغربية

(تمهيد)

في المائة المنصرمة من تاريخ الميلاد ، تعرّض فريق من المستشرقين الغربيين الثقات للإشارة إلى وجود الفاظ عربية في اللغات : الاسبانية ، والفرنسية ، والايطالية ، والانكليزية ، والألمانية .

وكان في جملة أولئك البصراء : انجلمان Engelmann ، وأغويلاز Eguilaz ، ودوزي Dozy ، ودفيك Devic ، ولامنس Lammens ، وغيرهم ؛ وذكروا شيئاً كثاراً من هذه الحروف . وقد فاتهم ألفاظ لا تحصى . وكنتُ قد وضعتُ قبل ٤٥ سنة كتاباً فيما فات هؤلاء الأذكياء من الحروف ، وكانت تناهز الثلاثمائة ، لكن بدأ أثيمة سرقتها ، ولم تقطع ، ولعلها أخذتها لتنشرها باسمها ، بيد أنها لم توفق حتى الآن لبثِّها بالطبع ، لوجودي في قيد الحياة ، ولأنها تخاف أن أشهرها . وقد حاولتُ اليوم ان أتذكر ما كنتُ قد جمعته ، ولا أظن اني استعيد تلك الدرر الغوالي كلها ، وعلى كل حال ، فما لا يدرك كله لا يترك جله !

فأقول ، وأنا اعتمد عليه تعالى :

١ — الأبو

هذه الكلمة كثيرة الاستعمال في كلام الناس ، وقد دخلتْ في طائفة من الكلم العربية . ومنها في لغات الغربيين . ويضحكني كثيراً تفسيرهم لها حين إضافتها الى بعض المفردات بقولهم : ان معناها : والد مع انها تأتي بمعنى [ذي] ولا سيما في كلام العوام في جميع الأقطار العربية اللسان .

فترى مثلاً الأب لامنس يقول في ص ١ من كتابه « الكلم الفرنسية المأخوذة من العربية ان Abouquel مأخوذة من [ابو كلب] التي معناها والد الكلب : le Père du chien .

ومن المشهور ان من معاني الأب أيضاً : من كان سبباً لأي شيء ، أو لإصلاحه ، أو ظهوره ، ويقال أيضاً لصاحب الشيء وبائعه والمربي له ، وللوصي والعمّ . وكل ذلك يؤخذ من القرينة . فانك تسمع العوام تقول : ابو كلب ، أي نَقد عليه صورة كلب [1] . ويكون معنى الكلب هذا الحيوان الأليف ، وقد يكون معناه الأسد في لغتنا كما لا يخفى ، والنقد المذكور عليه ... ة الليث كما هو معروف .

ويقولون أيضاً : أبو شُبّاك ، وأبو طاقة ، وأبو طير ، وأبو قرن ، وأبو مدفع ، لنقود عليها صورة الأشياء . وتقول عامتنا : أبو خسّ ، وأبو فجل ، وأبو عنجور ، وأبو زبل ... لبائع الخس والفجل والعنجور [وهو العجّور لنوع من الحلوى تباع في بغداد] وناقل الزبل ، ويقولون : أبو شوارب وابو لحية وابو خشم ؛ أي ذو شوارب طويلة ، وذو لحية كثّة ، وذو أنف كبير ، الى ما لا يحصى تعداده .

٢ — الأوبوطيلون

أمر المستشرقين غريب جداً ، فان واحدهم إن أخطأ في شيء ، تابعه في وهمه كل من جاء بعده ، كأنه لا يحقّ له أن يخطئه ، عاداً كلامه وحياً من السماء !

وقد لاحظتُ هذه الحقيقة في أمور لا تحصى ، لكثرة وقوعها عندهم . وأنا ذاكر هنا شاهداً واحداً يناسب هذا الموضوع .

ذكر مستشرقون كثيرون ان Abutilon عربية الأصل ، وانها من اوبوطيلون أو ابوطيلون ، وأول دليل على أن هذا الحرف ليس عربياً ، ان ليس وزنه من أوزان العربية . والدليل الثاني ان المادة لا تدل على ما يثبت جوهره . والثالث ان ليس في هذا التركيب ما يوجه له معنىً يقبله العقل ، اي ان معناه الخبازى البرية . والرابع ان ابن سينا هو أول من ذكره في تأليف عربي وقال : ان الكلمة خوزية ومن المعلوم ان الخوز من اجيال الفرس ، فكيف قال المستشرقون كأغويلاز ، ودوزي ، ولامنس ، ولتري ، ووبستر : إن اصلها عربي ؟

وقال ابو الريحان البيروني في كتاب الصيدنة : « ٩ ا : أوبوطيلون والبعض

(١) ومعناه أيضاً في لغة العوام : صاحب الكلب ومربيه والكلاّب الى ماقارب هذه المعاني المختلفة

يقول : ابوطيون ، وآخرون : انوطيلون ، وكلاهما غلط . يقول الخوز : انه معروف بهذا الاسم ، وإنه ينفع الجراحات الطريئة ، ويضمها ويلحمها في الحال » . اه

٣ – اشترى

نظنُّ ان Acheter الفرنسية من العربية « اشترى » ، وما ذكره لتري Littré أنه من Ad caput اللاتينية غير موافق موافقة العربية التي ذكرناها .

٤ – العدّاء Adax

العدّاء اسم معروف عند جميع علماء الحيوان ، ومذكور في تآليفهم ، ويريدون به ضرباً من الأرخ [من بقر الوحش] واذا سألت وبستر صاحب المعجم الشهير Webster ، يقول لك بلا أدنى تلكؤ ، « الكلمة من لغة أهل البلاد التي يكون فيها » . وهذا كلام يكرره على مسامعك كل مرة يجهل أصل الكلمة ، ولا سيما اذا كانت عربية .

والذي عندنا أن الأصل واضح ، وانه من العربية : [عدّاء] وزان شداد وهو بقر وحشي ، معروف بشدة عدوه .

ومن العجب ان الدكتور ألوئيس والده Dr. Alois Walde لم يهتد الى هذا الأصل . وهذا العلامة هو صاحب المعجم المسمى الأصول اللاتينية أي Lateinisches Etymo Logisches Wôrterbuch ذكر ذلك في ص ١١ من ديوانه ، وقال صاحب [معجم الحيوان] : مهاة : بقرة وحشية بيضاء اللون ، سويداء العنق ، لها قرنان كبيران لولبيان تسمى في المغرب بأبي عدس [١] ، وفي السودان بأبي عَقَص [٢] ، وأبي عَقَش [٣] وأبي عَكَش [٤] [هذا كله عن اهنبرج ، وهوغلن ، وترسترام والمعلمة الفرنسية] اه .

وقد يحتمل أن يكون في العدّاء لغة ثانية هي [العقاص] من المقص ،

(١ ، ٢) (٣) (٤) هذه الألفاظ الأربعة هي عندنا منقولة نقلاً قبيحاً للاتينية التي ذكرناها وقد حاول المغاربة والسودانيون النطق بالأحرف المغربية . على أن أبا عدس قد يكون من العدّاس من عدس في الأرض أي ذهب فيها .

لأن قرنيه معقوصان أي ملفوفان كاللولب ، لكن اللغة الأولى هي الفضلى ، وعدم وجود اللفظة في المعاجم لا ينفي وجودها من اللغة ، لأن طائفة من اسماء الحيوان غير مدونة في دواوين لساننا ، من ذلك مثلاً اليغر والغوطي والعيّ الى نظائرها .

٥ً — الغوطيُّ Agouti

الغوطي ، بالغين المعجمة المضمومة ، يليها واو ساكنة فطاء مكسورة فياء مشددة ، حيوان من القوارض يكون في أميركة وهو بحجم الأرنب ويرى في في أوقيانية ، والكلمة من وضع العرب الأقدمين في تلك الأرجاء ، والغوطيّ نسبة الى الغوْط جمع غاط وغَوط ، بالفتح ، وهو المطمئن الواسع من الأرض حيث تكثر الأشجار ، فتأوي هذه الدويبة اليها وتحفر حفراً في أشجارها وتأوي اليها فتأكل من أثمارها وأوراقها وعروقها . وقولهم أغوطي هو من قبيل حذف لام التعريف العربية عند نقلهم الفاظنا الى لسانهم .

٦ً — أغْرى يُغري

عندنا ان الفرنسية Agréable مشتقة من Agréer بمعنى أرضى وأعجب بالشيء والأصل اغراه بالشيء ، أي ولّعه به وحضه عليه . أما ما ذكره لتري فلا يقنعنا .

٧ً — العقرب

العقرب . هي الدويبة الملتوية الذنب ، والتي تعقر الانسان بطرفه ويصنع على شبهها عقافة تدخل في حلقة ، وهي العقرب أيضاً ، لأنها تصنع على مثالها والفرنسيون أخذوا منها هذا الاسم وقالوا : Agrafe وهم لا يعرفون أصل هذه اللفظة في لسانهم وقد توقف لتري في تحقيقه . ونقل الانكليز الحرف الفرنسي الى لسانهم فسموه Agraffe اي بتضعيف الفاء عندهم .

٨ً — العيَ

وبالفرنسية والانكليزية Aï قال لغوبو اللغتين المذكورتين : ان الكلمة من البرازيلية Aï أو Hai وهذا الاسم من صراخه آي ! .

قلنا : وليس الأمر كما قالوا · والذي نعلمه ان البرازيليين قد قبلوا ألفاظاً كثيرة وضعها لهم العرب حين دخولهم فيها · والكلمة مشتقة من [العيّ] أي المتعب او الكسلان ، لأن هذا الحيوان إذا مشى ، سار متثاقلاً كأنه متعب او كسلان ، ولهذا سماه أيضاً الانكليز Sloth أي الكسلان والفرنسيون أيضاً أي Paresseux وأغلب ما يكون في جنوبي اميركة التي يسمع فيها ألفاظ كثيرة لحيوانات وطيور عربية الوضع والاشتقاق · ويشهد على ان هذا الحرف عربي النجار ان البرازليين يكتبونه بالهاء أيضاً اي Hai وهذا الرسم يؤدي العين لخلو لسانهم من هذا الحرف الحلقي وسماه بعض التراجمة عندنا بالكسلان لما ذكرنا · وبلسان علماء العجماوات هو Bradypus Tridactylus ·

٩ – العانة

العانة منبت الشعر فوق قبل المرأة ، وذكر الرجل ، وبالفرنسية Aine وواضح انها من لساننا ومع ذلك لم يذكر هذا الأصل أحد فقهاء اللغة · ويرى لتري في نجارها آراء غريبة ·

١٠ – العاقلة بمعنى العقاب

العاقلة ، المعقولة ، وهي مشتقة من عَقَل الوعل عقلاً وعُقولاً اي صعد وامتنع في الجبل العالي · فالعاقلة هنا العقاب ومنها اللاتينية Aquila ومن هذه الفرنسية Aigle ولم يعرف الرومان اصل كلمتهم فهي من لغتنا وان لم يسلم بهذا الأصل من يكره العرب ، فالأصل واضح وليس من لغة في العالم تؤول اللاتينية كما أولناها ·

١١ – الحِلس

الحِلس ، وبالفرنسية Alèse , Alèze , Alaise وتعني في لغتهم الشراشف والملاءات والملاحف المستعملة للمرضى · ومع وضوح معنى الحِلس وهو الكساء او المسح الذي يبسط في البيت تحت حرّ الثياب كما قلنا ووضوح اللفظ الافرنجي منه ، لم يقل أحد ان الفرنسية من العربية · بل قال لتري انها مركبة من كلمتين فرنسيتين هما : à l'Aise أي في الراحة لأنها تريح المريض من أن يتلوث

فراشه بالأقذار والدماء والقيوح الى ما ضاهاها . ونحن لا نقبل هذا الأصل . وما قلناه بيّن لا غبار عليه .

١٢ — البَطْرُسي

عند علماء الطير ، لفظتان متشابهتان الواحدة Albatros ، والثانية Pêtrel وكلتاهما متقاربتا اللفظ في الأصل ، وعندنا ان الأولى مشتقة من اسم بطرس، الرسول ، الذي مشى على الماء حينما دعاه اليه يسوع ، فسمي هذا الطائر الجذافي الأرجل الرغيب الجشع لأنه يمشي على الماء دائماً . وكان نصارى الأندلس يلفظون اسم الرسول المذكور بَطرُس اي Batros ، فنسبوا اليه هذا الطير .

وأما Pêtrel وهو طائر يشبه اخاه هذا كل الشبه فمأخوذ من اسم بطرس باللاتينية اي Petrus لأنه يعوم على الماء دائماً واخلاقه كأخلاق رفيقه فعرف الأول بالبطرسي والثاني بالفطرسي والفرق بين الباء الموحدة التحتية وبين الفاء لا غير ، لكنه بديع ! أما الافرنج فقد قالوا في سبب تسمية البطرسي Albatros بهذا اللفظ الأعجمي انها مشتقة من القَطْرَس الاسبانية ، وهذه من القاروس العربية وهذه يونانية الأصل كما ذكر دوزي . وهكذا قال أيضاً صاحب معجم الحيوان . فهذا قول عن قيل ، عن قال . ولم يبحثوا ان ليس في العربية قاروس بالراء ، بل قادوس بالدال .

١٣ — الفِرْسِق والفِرْسِك

الفرسق والفرسك كزبرج خوخ لاصق لحمه بنواه . فنقله الاسبانيون الى Alberchigo ؛ Alberchiga ، Alberge وقال الفرنسيون Alberge ؛ Auberge وقد حوّلت الفاء العربية باء موحدة تحتية ، على لغة للعرب أنفسهم ولا سيما من كان في الأندلس فقد كانوا يقولون : الضنفس والضنبس ، اليشف واليشب ، الحضف والحضب ، اليصف واليصب ، ضف الناقة وضبها . وزحف وزحب الى نظائرها وهي لا تكاد تُعد لأنها لغة كانت لفريق منهم — وظن الأب لامنس ان الأقدمين لم يقلبوا الفاء باء إلا في كلمة واحدة وهي قفص فقالوا فيها قبس اي Cabas وهي وهم ظاهر .

١٤ً البوصية والابريسمية

ذكر البوصية الأمير مصطفى الشهابي في معجمه في ص ٣٢ قال :
شجر الحرير Albizzia مع ان الافرنجة أخذوها من العربية البوصية نسبة الى البوص وهو الدمقس اي الحرير . فيجب ان يقال البوصية . وذكر لها مترادفاً فرنسياً آخر هو Julibrissin وهو شجر الابريسم بالمعنى الأول ، كما لا يخفى واما من أين جاءت الجيم الأولية اي الحرف الافرنجي J فنظن انه من بقايا الكلمة المضافة المحذوفة كأن كانت Sajaratulibrissim فحذفوا منها ما استغنوا عنه واحتفظوا بما أمكنهم ان يحتفظوا به اي Ju .

١٥ً — العقرب

نقلها الاسبانيون فالفرنسيون بشيء من التصرف في الحذف فقالوا Alcaron وخصوها بعقرب افريقية وبلسان العلم Buthus Afer. - 1 .

١٦ً - الحصان

الحصان هو اسم الفرس الذكر عند العرب وأكثر ما يكون لونه بين الأسود والأحمر ولما كانت الكمتة تغلب على خيل العرب سموا حصاناً كل فرس ، كيتاً كان أو غير كيت ، من باب الغلبة . ولهذا سمى الفرنسيون الفرس الكُمَيْت Alezan : حصاناً ، بقطع النظر عن اصل معناه في العربية . اذن قالوا الحصان Alezan لما كان من الخيل بهذا اللون دون غيره . وهذا رأي المجلمن . اما دوزي ، ودفيك ، وأغويلاز ، فردوا هذا الرأي . وقد عرض دفيك ان الكلمة الفرنسية من مؤنث [الأحلس] اي حلساء ، وهو عندنا بعيد . وقال أغويلاز انه من [الأزعر] (كذا) وعندنا أنها كلها اوهام وأصح الآراء ان الكلمة الفرنسية من الحصان .

١٧ً - الوازع

الوازع يدل في لغتنا على عون الملك والشرطي فنقلها الافرنج الى Alguazil وقالوا انها مأخوذ من [الوزير] (كذا) ومن لا يصدقني ليرجع الى ما ذكره

مفصلاً الأب لامنس في كتابه . أما من اين أتى باللام في الآخر ، فهذا ناشئ من عدم وجود العين في لسانهم ، ولأن بعض العرب كانوا يستثقلون لفظ العين فيجعلون في مكانها لاماً . فكانوا يقولون في واعي اليتيم واليه ، وفي عوى بد غيره : لواها . وفي دعك الشيء : دلكه . وقالوا : خطيب مصقع ومصقل ونظائر هذه الألفاظ كثيرة لا تعد .

ولم يتعجب أحد من وضع الحرف (G) في مكان حرفنا (و) ، لأنه قد اعتاد بعض اقوامهم ان يقولوا مثلاً Gulielmus في مكان Wilielmus اي [جليلمس] او [غليلمس] في مكان [وليلمس] اي جعلوا في مكان الواو جيماً أو غيناً . وهكذا فعل أبناء العروبة فقد قالوا : الوأب والجأب إذ جعلوا الواو جيماً . وقالوا عيش أوطف واغطف . وقد أقاموا الغين في مقام الواو .

١٨ – الحاج

الحاج بتخفيف الجيم ، وقد ذكره لغويونا في [ح و ج] وآخرون في [حيج] وكلاهما صحيح ، وهو نبت شائك تدوم خضرته . وضبطها الأب لامنس بتشديد الجيم وهو خطأ . وترجم المثل العربي : « الحاجة في الصدر حاجّة » بهذه العبارة الفرنسية : Ce qu'il faut à la poitrine c'est l'alhagée أي ما يحتاج اليه الصدر هو الحاج او الحاج يحتاج اليه الصدر . قلنا : وليس كذلك . والصواب ان الحاجة تحك الصدر ، أي تختلج في الصدر . — أو بعبارة اخرى : الحاَجة في الصدر حاجّة ! [وهذه بالتشديد] وتلك بالتخفيف فالحاجة : النبتة ، سماها الفرنسيون Alhage أو Alhagée او Albage .

١٩ – ألّ وعال يعيل وولّى

قال لغويونا : ألَّ يؤلُّ ويئلُّ : اسرع : — وعال يعيل في الأرض عيلاً ذهب ودار . — وولى يولي : أدبر . ونظن ان الفرنسيين أخذو فعلهم Aller من لغتنا . أما قول بصرائهم إنها من اللاتينية Adbare , Vadere , ire فبعيدة عندنا بالأحسن أن يقال بقولنا . والآن يختار القارئ ما يناسب فكره وعقله .

(بغداد) الأب أنستاس ماري الكرملي

حول المصطلحات الفنية

(طبية وعسكرية)

ليس كل رجال الفن في بلادنا يهتمون باللغة العربية ، ويحرصون على مراعاة أساليبها واستعمال أفصح الفاظها في كتاباتهم ومصنفاتهم ، وانما هم قليلون يكادون يعدون على الأصابع :

سمعت يوماً واحداً من هؤلاء الفضلاء يصف فرط حاجته الى الفاظ عربية من فصيح اللغة كي يستعملها في مصنف له جديد مكان الأوضاع الأعجمية المستعملة في فنه ، ثم أخذ يشكو صعوبة العثور على تلك لألفاظ المنثورة في المعاجم نثراً بحيث لا يعثر طالبها عليها الا اتفاقاً ، وقد لا يحسن الفنان [1] فهم عبارة اللغويين ، ولا التفطن الى اصطلاحاتهم ، فيغيب عنه أحياناً كثيرة ما يريدونه من هذا التعبير ، أو ذاك اللفظ فيضطر ان يرجع الى المتخصصين من أهل اللغة ليفهموه ما أشكل عليه منها ، قال : وقد يتفق أن أسأل لغوياً عن لفظ علمي يسدّ مسدّ الاصطلاح الاجنبي فيفكر في الأمر طويلاً ، ويقلّب في المعاجم كثيراً حتى يجد اللفظ المراد او القريب من اللفظ المراد ، وكثيراً ما يذهب تعبه سدى ، وسعيه هدراً وذلك لأن اللغوي يكون في الغالب قد طعن في السن ، وابتلي بضعف الذاكرة ، وفتور البادرة (أي البديهة) ، فهو لا يلبي طلبك من فوره إلا في الندرى ويعدك أحياناً بأنه سيرجع الى دفاتره ومذكراته حتى اذا وفى بوعده ، وظفر باللفظ بعد لأي ، تأفف من خيانة

---

(١) نريد بالفنان صاحب الفن أي فن كان ، وقد شاع بيننا استعمال هذا اللفظ بهذا المعنى وان كانت معاجم اللغة لم تذكره به ، غير أن المجمع اللغوي المصري لما رأى كثرة ورود صيغة [فعّال] لإفادة النسبة في كلام العرب ، وشدة حاجتنا اليها في هذا العصر الصناعي — لما رأى ذلك قرر قياسيتها ونشر قراره في مجلته (جزء ١ ص ٣٥) ونصه [قرار فعّال للنسبة الى الشيء : يصاغ فعّال قياساً للدلالة على الاحتراف أو ملازمة الشيء] اهـ .

ذاكرته قائلاً ان هذا اللفظ الذي تعبت في البحث عنه طالما رددته بلساني ، وأجريته في خاطري ، وهكذا يضيع وقت الفنان واللغوي بين الوصف والشكوى والتأفف .

ومعاجم اللغة التي يرجع اليها عادة في مثل هذه الحال أنواع (١) معاجم الطريقة القديمة وهي التي تحشر فيها كلمات اللغة حشراً من دون تصنيف ولا تصفيف . فيحتاج مراجع الكلمة الى قراءة المادة بحذافيرها ، وربما استغرقت قراءته لها عدة صفحات من المعجم (٢) المعاجم العصرية وهي التي ترتب فيها الألفاظ ترتيباً عمودياً على طريقة المعاجم الأفرنجية . والمراجعة في هذه المعاجم موصلة الى الغرض بسهولة مريحة في الجملة .

على ان الطريقتين سواء في قلة الجدوى بالنسبة الى الحريص على الاصطلاحات الفنية ما دامت ألفاظ اللغة فيهما مجموعة باعتبار صيغها وموادها . لا باعتبار معانيها ومدلولاتها . كما هو الحال في الطريقة الثالثة : وهي التي صنفت الفاظها وبوبت باعتبار المدلولات والمعاني : فالألفاظ الدالة على الأمراض والأوجاع في باب . والألفاظ الدالة على الفلاحة والزراعة وضروب الغراس في باب . والألفاظ الدالة على معاني السلاح والحرب والتعبئة في باب . وهكذا الى الآخر . وأشهر من وضع معجمه على هذا النمط وأفرغه في هذا القالب البديع ابن سيده الاندلسي في معجمه (المخصص) فهو أجمع لألفاظ اللغة من سائر أشكاله التي بين ايدينا .

ذكرت هذا لمحدثي الفنان فهش الى مطالعة المعاجم المرتبة على المعاني والأغراض وعزم على الرجوع اليها في الفاظ فنه . وكان فنه الطب . فقلت له : ولكن هناك ألفاظاً كثيرة من الأوضاع والاصطلاحات نحتاج اليها ولا نجدها في المخصص ولا في غيره مهما نقبنا وبحثنا . فنبقى معشر العرب في حاجة ملحة الى الاستعانة بالمجامع اللغوية لأجل الحصول على المصطلحات الجديدة . على ان المجامع اللغوية نفسها لا تفي بالحاجة ولا تقوم بوظيفتها المنتظرة منها ما لم تكن مجهزة بقوتين لغويتين عظيمتي الأثر في نمو اللغة واعشيشاب المصطلحات الفنية . وأريد بالقوتين قوة (الاشتقاق) وقوة (التعريب) . ولم يكد ينتهي الحديث بيني وبين صديقي الطبيب الى هنا حتى آنست في وجهه آثار اهتمام جديد بموضوع كلامنا .

واذا به يعود الى زيارتي بعد أيام . واذا في يده قائمة . قال إنها تتضمن أوضاعاً طبية عربية تتلاءم مع أوضاع الطب الحديث وقد التقطها من المخصص . وإذا به يستخرج (القائمة) من جيبه ويتلوها عليّ :

كلمة لغوية تدل على اختلاط مرض بمرض آخر واشتراكه فيه (العآز)

كلمة لغوية تدل على المرض الذي ينقطع ثم يعود وينقطع فيعود (العِداد)

كلمة تدل على أهم شريان في جسم الانسان (الأبهر)

كلمات تدل على الإبلال من المرض (ثاب . أفاق الخ)

كلمة تدل على استعداد بعض الأبدان لقبول المرض المعدي (القُرحان)

كلمات تدل على فساد المعدة بسبب أكل اللحم والدسم ونحوها (الحقاء الطَّـأ الخ)

كلمات تدل على أمراض نسائية ومعالجتها (الكهاء . الضهياء . الفصع الخ)

كلمة تدل على انجبار العظم المنكسر على غير استواء وكذا الجرح (العثم)

كلمة تدل على تأثير حرارة اشعة الشمس في دماغ الانسان (الصمغ)

كلمة تدل على الجُدري الخفيف المسمى في بعض البلاد العربية بجدري الماء (الحُماق)

كلمات تدل على الدوار [الدوخة] (الدُوام . الهُدام الخ)

كلمات تدل على انحباس البول وشيء آخر (الأطَم . الأسر)

تعبير فصيح يصلح استعماله في لغة الطب (عميد وجعه معدتُهُ)

كلمة تدل على خفة المرض وثقله (الثأب . التوصيم الخ)

كلمة تدل على مرض يصيب العَجْب وهو آخر عظم الفقار (خزَرَة)

كلمة تدل على وجع البطن (الرزّ الرزّيزي)

كلمة تدل على تناسق الأسنان وعدم تناسقها (شَغاء . رَتَل)

كلمة تدل على الطعام الردي الذي يؤدي الى سوء تغذية الأطفال ووقف نموهم (الاسغال . الاسغان) .

ولما آنس الطبيب مني مللاً طوى صحيفته وقال انه لم يزل فيها كلمات فصيحة للدلالة على عظام وعروق تشريحية في جسم الانسان وعلى أوصاف العرق

والمعرّقات . وانواع الحمى ومسبباتها . ووصف أمراض مختلفة وعلاجاتها . وشيء آخر أصبح موضع الاهتمام اليوم . وهو كلمات تتعلق بأجسام النساء من حيث زينتهن وصحة اجسامهن وتجميل وجوههن بمختلف الوسائل الصناعية وهو ما يسمونه (ما كياج : Maquillage) . فقلت حسبي حسبي ولندع تفصيل ماذكرت وبسط ما انطوى منه الىمقال خاص ننشره في أعداد مقبلة ثم أثنيت على همته وحرصه على تدوين مسائل فنه وقرنه العلم بالعمل . وتمنيت له ان يستعين بأحد اللغويين في ضبط الفاظه المختارة وتفهّم النصوص التي استخرج منها تلك الألفاظ لئلا يخطيء في الاستخراج والاستنباط في اللسان مثلاً : (الثويّة أخفض علم يكون بقدر قعدة الانسان) فيقول قائل في تفسير ذلك: العَلَم الراية فتكون الثوية بمعنى أقصر راية بحيث ترفع على نحو عصا . ولكن الأمر ليس كذلك وانما العَلَم هنا المنار أي الحجارة المركومة في المجاهل يهتدي بها المسافر الى طيّته : بدليل قوله (أخفض) ولو اراد الراية لا المنار لقال اقصر لا اخفض فقال حق ما تقول . قال الطبيب وقد أردت باستقاء الألفاظ التي نحن في حاجة اليها على نحو ما فعلت الاشارة الى ان تكليف اللغوي إيجاد كلمة لمعنى كذا فيه عسر عليه اما استخراج الألفاظ الفصيحة من كتب اللغة في الفنون المختلفة وبسطها تحت مواقع انظار المحتاجين اليها مثلما فعلت وبسطت — فانه اسهل عملاً وأقرب تناولاً . قال وان رفيقي هذا واشار الى ضابط بجانبه قد شوّقه صنيعي في المصطلحات الطبية الى محاكاته في المصطلحات العسكرية . وقد جمع منها طائفة صالحة أحبّ إهداءها الى زملائه الضباط من الأركان . قال : وقد اصبحنا نريد بكلمة الركن وحدها مايريده الأتراك بكلمات (ضابط أركان حرب) ونجمع الركن على الأركان . وهذه هي مختاراتي :

اذا فرّ العدو . يقول العرب انهزموا واندحروا . أما اذا كان المندحر من جماعتهم او من حلفائهم وأوليائهم قالوا : حاصوا . وهذا كما يقولون اليوم (انسحبوا بنظام) أو (تراجعوا بنظام) .

اذا جمع القائد افراد جنده بعد تفرّق قيل (ألَبهم) فاذا فرّقهم . قيل :

(بَأْهِم) . أما القِطَع والكتائب المتفرقة . فان قائدها الأعظم اذا جمعها قيل (أزَّها) فالأزّ جمع القطع . والتأليب جمع الأفراد .

واذا قيل (أَبّ للعدو أزًّا) كان المعنى انه دبر لهم المكايد من حيث لايشعرون .

والعرب تقول: أبَّ بيده الى سيفه فاستله من غمده : فيصح لنا ان نقول اليوم أبَّ جنودُنا الى اسلحتهم او مدافعهم فصوبوها الى عدوهم المفاجي .

أمر القائد جنوده بأن يستعدوا للابتداد أو لابتداد عدوّهم : يعني ان ينقسموا لحين اللقاء فيملكوا على العدوّ ناحيتيه ويأتوه من ميمنته ومن ميسرته .

أما اذا أمرهم بالتبادّ (التبادد) كان المعنى ان يمروا في أثناء العرض اثنين اثنين . واذا قال لهم عند الهجوم (بَدادِ بَدادِ) كان المعنى : تفرقوا آحاداً وليلق كل واحد منكم واحداً من العدو .

باغتهم العدو فصاح فيهم عريفهم (بَلْدِحوا بَلْدِحوا) أي الزموا الأرض . الصقوا بالأرض . اضربوا الأرض بانفسكم .

للراية الفاظ عربية كثيرة ومنها (الأم) : يضطرون الى رفع راية فيضعون على رأس رمح خرقة أو ثوباً . فتكون راية لهم مستعجلة أو موقتة .

(البند) لفظ فارسي معرب ويراد منه العلَم الكبير قد يجتمع تحته أكثر من عشرة آلاف جندي . واستعمل منه الكتاب المتأخرون فعلاً فقالوا بَنّد العسكر تبنيداً اذا جمعهم للقتال . فاذا كان التبنيد بمعنى جمع العسكر الكثير صح لنا أن نستعمله في معنى النفير العام او (السفر برلك) على حد قول الأتراك (البُلُط) الذين يفرون من الخدمة العسكرية : فاذا انهزموا حين القتال وعجز قائدهم عن ردهم سُموا (جُمّاح) ويظهر انه يقال للواحد جامح من جمح الفرس اذا ركب رأسه هارباً لا يرده شيء . أما (البُلُط) فلم يذكروا له مفرداً .

من إيعازات الجاهلية (أو نقول من صوادعهم) قولهم حين الأمر بالاستعداد للعدو (جُرْجُر) فهي بمنزلة (Alarme) .

يكون في الجند عادة أفراد لا قيمة لهم ولا يوثق بكفايتهم ونجدتهم : هؤلاء

يسميهم العرب حساكة . وفلان من حساكة الجند أي من صغارهم وخشارتهم . فالحساكة في الجيش هم الذين يوكل اليهم من الأعمال ما لا يحتاج الى جلَد ومهارة . والظاهر أن واحدهم حسكل .

قد يأمر القائد جنوده عند التدريب بأن يجثوا على ركبهم لممارسة القتال او إطلاق النار او نحو ذلك — هذه الحالة او هذه (الحركة) في القتال يسميها العرب (البَرَاكاء) .

الأصل في الخدمة العسكرية أن يكون الجندي مدفوعاً اليها بسائق من حبّ وطنه والدفاع عنه . على ان تكفل له خزينة الأمة أسباب معيشته . ويسمى ما يُعطاه في الشهر [إدرارة] و [وظيفة] و [رزقاً] ويسمى احياناً [شهرية] و [جامكية] لكنهما مولدتان . وأصبح [الراتب] مستقلاً في ما يعطاه الموظف المدني [أو نقول الملكي] في آخر كل شهر أجراً لقاء عمله . وقد تضطر قيادة الجيش ان تستخدم جنوداً موقتين بالأجرة فتسمى هذه الأجرة [جعيلة] وكان الرجل يخدم في الجيش احياناً بدلاً عن جندي آخر ويُعطى على ذلك أجراً ويسمون هذا الأجر [جَعالة] . وهؤلاء الجنود المستخدمون بالأجرة تدعى كتيبتهم [بيامرة] ويسمى الواحد منهم بيسري .

واذا جُرّدت المدينة من قوتها ومَنَعَتها وحصونها يقولون اليوم انها [مكشوفة] وكان العرب يقولون : إنها [جلحاء] وفعله [تَجلحت] المدينة الفلانية او المنطقة الفلانية اذا اصبحت مجردة من آلات الدفاع ومعدات الحصار .

يضطر الجند أحياناً الى التراجع والحيصان . فيعيّن قائدهم نفراً منهم لحماية مؤخرتهم . هؤلاء النفر يسميهم العرب [حامية] ويقول القائد [ليكن فلان وفلان على حامية المنهزمين] اي ان أمر حمايتهم موكول اليهما .

وقد يأمر القائد جنوده ان يحيدوا يميناً او شمالاً من وجه العدو خداعاً له وتضليلاً : هذه الحركة يسميها العرب [تحرّف] وفي القرآن الكريم [إلا متحرّفاً لقتال] .

قد يؤمر الجندي بملازمة مكان معين لا يبرحه او لا يقدر احد ان يزيحه عنه . فيسمى ذلك الجندي الملازم مكانه [حوَنَّس] لكن لا نعلم ان كان الذوق يستسيغ كلمة [حونَّس] او لا ؟ وربما كانت كلمة (Poste) الافرنسية تفيد معنى [حونَّس] العربية .

والمعركة التي يشترك فيها اكثر عدد ممكن من الجيوش تسمى [الحوزاء] وهي التي تمتد على مساحة كذا وكذا من الكيلومترات كما كنا نسمعهم يقولون في هذه الحرب التي مازلنا نخشى شر عقابيلها .

يصرخ القائد بجنوده [أخبتوا] [أخبتوا] اي أسرعوا الى الخبْت وهي بطون الأودية والاراضي المنخفضة . حتى اذا أمنوا العدو ناداهم [أصحروا أصحروا] يعني ابرزوا الى الصحراء المكشوفة .

اذا كان جنود الكتيبة متضامين متلاصقين لا فرجة بينهم ولا خلل سماها العرب [دَوْمَرَة] اما اذا كان بينهم منافذ وفي صفوفهم تخلخل سموها كتيبة خالَّة [بتشديد اللام] بسبب الخلل الذي بين آحادها . وعلى هذا يصح ان يقال : عسكر دومر . وعسكر خالّ .

يكون القائد داخل الصف اي واقفاً بين جنوده . فاذا خرج من الصف وتقدمهم لإبلاغهم أمر القيادة او لإلقاء الصوادع [الإيعازات] عليهم قيل إنه [ابستتل] . ومثله [ادرعفّ] لكن استتل اخف لفظاً . واسهل نطقاً .

يضطر القائد احياناً ان يأمر جنوده بالهجوم على غير اصطفاف ولا انتظام فيهتف بهم [دَغرَى دَغرَى] أو [دغراً لا صفّاً] اي اقتحموا عدوكم ولو تشوشت صفوفكم . وهذه المعركة تسمى حينئذ [مَدْغَرة] .

واذا قال العريف لصاحب الطبل [أدْرِبْ أدْرِبْ] كان معناه اضرب الطبل أو صوّت بالطبل .

وهناك الفاظ أخرى تصلح للاستعمال العسكري مثل [الآمّ] هو الدليل يمشي امام العسكر يهديهم الطريق ومثل [حفيف] العسكر وهو صوتهم في أثناء

سيرهم ومثله [جفجفة] العسكر . لكن الخفيف ارشق وأجدر بالاستعمال . ومثله [الدفيف] وهو أن يسير الجنود على هينتهم . يقال: هم يدِفّون . ودفوا دفيفاً . والكتيبة اذا سارت على هينتها سميت [الدافّة] . و [الدُّدَيْبَة] وعاء صغير يضع فيه المحارب الأشياء الدقيقة من لوازم سلاحه . واذا كان الجندي بطلاً وقد سبق له مناقب ومواقف مشرّفة في الحروب قيل عنه [إنه لذو مساعٍ وذو مَدَاعٍ] قال الزمخشري [وهذا إنما يوصف به الرجل في الحرب خاصة] فوزارة الدفاع الوطني إذا أرادت ترفيع أحد الضباط بنت ترفيعه على كونه [ذا مساعي ومداعي] .

وأخيراً كلمة [بَماع] ؟ ؟ بعد ان تنتهي المعركة ينجلي غبارها عادةً عن أمتعة وحاجات وادوات ذات قيمة او غير ذات قيمة تكون قد سقطت من المتحاربين وتبعثرت هنا وهناك في ساحة المعركة . فيسعى اليها الأدناع والعاطلون فيلمونها وينتفعون بها . وقد استعمل فصحاء العرب كلمة (البَماع) قال شاعرهم يفتخر بقومه بني غطيف ويذكر بلاءهم في الحروب :

وقومي إن سألت بنو غطيف إذا الفتيات يلقطن البَماعا

يقول الشاعر ان قومه بني غطيف معروفون بشجاعتهم في المعارك الكبرى التي كانت اذا انجلت تراكضت فتيات الحي الى ساحاتها يلممن البَماع من جنباتها .

ولا يكاد قارئي يسمع شرحي لكلمة [بماع] حتى يبدي استكراهه لها وحب التخلص منها ويحتج بحرفي العين اللذين ثقّلاها . فأقول له : أنسيت حرفي العين اللذين في كلمتي [رَعاع] و [شُعاع] وأنت تسمعها وتقرأهما المئات من المرات . فما عدا مما بدا ؟ ؟

المغربي

مؤرخ الشام

أو

البرزالي وتاريخه

وما هذه الأيام إلا صحائف نؤرخ فيها ثم تمحى وتمحق
ولم أر في دهري كدائرة المنى توسعها الآمال والعمر ضيق

نعم ان العمر ضيق ، والتجربة مرّة ، والسعيد من وعظ بغيره ، فلا مندوحة لنا من أن نلحظ ما جرى من الحوادث بأمل الاطمئنان والتثبت من صحة العمل وصوابه ودرجة علاقتنا به ، فكان ما نهجته الأمم ، أو سلكه الأفراد في هذه الحياة محل الاهتمام ، ودأب الحكماء ، وطريق العقلاء .

والتاريخ قام بالمهمة ، وأدّى الغرض . ولا يعنينا التحامل عليه ، او التنديد به ، أو ان يخصّ تاريخنا وحده في هذا مهما كانت الغاية ، أو كان الباعث ، فلا تخفى الحاجة اليه . وان المخلصين من رجالنا قدموا آثاراً تفوق الوصف في صدق الخبر ، ودقة النظر ، فخلدوا ما كان متعة العصور ، وتحفة الدهور ، فتكاملت الصنعة ، لا تعروها شائبة ، ولا يغشاها لبس . ولم تكن المساعي التاريخية مقصورة على قطر بعينه ، أو شعب بخصوصه وانما شملت حوادث أمم وممالك عديدة ، فكانت من أعظم المراجع لتواريخ الأقوام والأقطار ...

والشام قطع شوطاً في هذا المضمار ، واكتسب مكاناً علياً ، وزاد في الفخر فكان من نوابغه مؤرخون أكابر اشتهروا وذاع صيتهم في الأقطار ، منهم (أبوشامة) ، و (القطب اليونيني) ، و (ابن واصل) ، و (الذهبي) ، و (الصفدي) ، وآخرون يعدّون زينة العصور .

ومترجمنا احد هؤلاء النوابغ ، وهو — كما نعته معاصروه — الامام الشيخ الأوحد الكامل الحافظ مؤرخ الشام عمدة المحدثين مفيد الآفاق أبو محمد القاسم

ابن البهاء محمد بن يوسف ابن الحافظ زكي الدين أبي عبد الله محمد بن يوسف ابن أبي بدّاس البرزالي الاشبيلي الشامي . ونعته الذهبي بـ (مؤرخ العصر) .

١ — حياته

كان — رحمه الله — من أسرة علمية جاءت من المغرب ، وكانت قد حلّت اشبيلية ، ثم رحلت الى الشام . انتسبت الى قبيلة [بِرْزالة] بكسر الباء بطن من البربر [١] .

وأول من عرف من هذا البيت في الشام الجدّ الأعلى للمترجم وهو الامام المفيد الرحال محدّث الشام زكي الدين ، تجوّل في بلاد كثيرة للأخذ من علمائها في بغداد واربل والموصل ... حج سنة ٦٠٢ هـ وعمل المعجم الكبير . وتوفي في رمضان سنة ٦٣١ هـ بحماة [٢] . ودام العلم في هذا البيت . وفي بغداد [بيت آخر] عرف بهذه النسبة ومن رجاله أبو الفضل محمد بن محمود . وكان إماماً مفتياً صالحاً ، واشتهر ابنه شمس الدين أبو عبد الله محمد البرزالي [٣] ، وجاءت ترجمته في الوافي بالوفيات ، وفي شذرات الذهب وتوفي سنة ٧٣٤ هـ أو سنة ٧٣٥ هـ . وفي المغرب أيضاً علماء عرفوا بالنسبة الى برزالة .

غطت شهرة مترجمنا على من سبقه من علماء أفاضل من هذا البيت ، أو من تلك القبيلة وذاع صيته في حياته ، وانتشر ذكره في الشرق والغرب . ولا يزال الى أيامنا يردّد ذكره في دائرة المعارف الاسلامية ، وفي آداب اللغة العربية لبروكلمن ، ولآخرين وعرف بالحديث وزاد تفوقه فيه كما لهج القوم بصلاحه وتقواه وصدق لهجته مما جعل لتاريخه قبولاً تاماً في الأوساط العلمية لأنه مستجمع الشروط للمؤرخ الصادق بحيث أكبر معاصروه عمله ، واقتبسوا من تاريخه في حياته ، ولخصه آخرون بعد مماته ، ونقلوا عنه ، ولا يزال معيناً فياضاً في الإتقان والكمال ، وقدوة في الأخذ .

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٢ ص ٢٠٨ وتاج العروس . (٢) تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٢٠٨ (٣) الوافي بالوفيات ج ١ ص ٢٣٧ والشذرات ج ٦ ص ١١١ وهو الذي خرّج [كتاب سلوك طريق السلف] في مشايخ الشيخ المعمر أبي محمد عبد الحق بن خلف ابن عبد الحق الحنبلي سنة ٦٣٦ هـ وهو في مجموع ١٧ من الخزانة الظاهرية بدمشق .

ولد في جمادى الأولى سنة ٦٦٥ هـ — ١٢٦٧ م وأول ما عرفنا من حياته العلمية أنه كان قد أجازه بإجازة علمية مؤرخ العراق ظهير الدين الكازروني البغدادي المتوفى سنة ٦٩٧ هـ - ١٢٩٧ م . وكانت هذه الاجازة باذن من الشيخ الإمام الحافظ عضد الدين أبي محمد عبد الرحيم بن محمد بن أحمد [ابن الزجاج] البغدادي في شوال سنة ٦٨٤ هـ — ١٢٨٥ م[1] . وكان المترجم آنئذ في مقتبل العمر ، لم يتجاوز التاسعة عشرة . وهذا الحادث مهم في تفسير حياته ونشاطه العلمي ونبوغه كما يدل على التنظيم العلمي وحسن الاتجاه آنئذ . ولعل الاتصال بأمثال الكازروني مما حبب اليه [التاريخ] ، ومما زاد في ذلك مطالعته تاريخ أبي شامة . ومن شيوخه ابن عبد الدائم ، وابن علان وآخرون ... أمعن في الطلب ، ورحل الى البلدان ، فأخذ عن حفاظ أكابر أودعهم معجم شيوخه وأورد الحسيني في ذيل تذكرة الحفاظ جماعة منهم[2] .

وأقدم من ذكره ابن الفوطي في [تلخيص مجمع الآداب] قبل ان يظهر أثره التاريخي للوجود ، أو قبل ان يقف عليه . قال :

«... ابن البرزالي نزيل دمشق المحدث ... وأنشد له :

يتعاطى كل شيء وهو لا يحسن شيئا
فهو لا يزداد رشداً انما يزداد عيا»[3]

ونعته ابن كثير بـ[مؤرخ الشام] وقال :

«... كتب تاريخاً ذيل به على الشيخ شهاب الدين من تاريخ وفاته ومولد البرزالي الى أن توفي ... وسمع الكثير من أزيد من ألف شيخ ، وخرج له المحدث شمس الدين بن سعد[4] مشيخة كبيرة فلم يتمها .

(١) مجموعة الحديث في الخزانة الظاهرية رقم ١٢١ وجاءت ترجمة ابن الزجاج في طبقات الحنابلة لابن رجب وتوفي في ١٢ المحرم سنة ٦٨٥هـ إلا انه ذكره باسم عبد الرحمن وتابعه ابن حجر في سهوه كما في الدرر الكامنة ج ١ ص ٥١ وصواب اسمه كما هنا وفي منتخب المختار في علماء بغداد ص ٩١ ترجمته وكذا في العبر للذهبي وفي الشذرات

(٢) ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني ص ١٨

(٣) عن مخطوطة الظاهرية ص ٦٨ - ٦٩ المصورة في خزانة المعارف ببغداد.

(٤) هو شمس الدين محمد بن يحيي بن سعد المتوفى سنة ٧٥٩ هـ . وجاءت ترجمته في الدرر الكامنة ج ٤ ص ٢٨٣ وفي الشذرات في حوادث هذه السنة .

وقرأ شيئاً كثيراً ، وكان له خط حسن ، وخلق حسن . وهو مشكور عند القضاة . ومشايخه أهل العلم ... وأصحابه من اهل الطوائف يحبونه ويكرمونه . وكان شيخ حديث بالنورية ، وفيها وقف كتبه بدار الحديث السنية ، وبدار الحديث القوصية . وكان متواضعاً محبباً الى الناس ، متودداً اليهم ... »[1] اه

وعن شيخ الاسلام ابن تيمية : « نقد البرزالي نقر في حجر » وفي رواية [نقل البرزالي نقر في حجر او نقش في حجر] . وبأن الذهبي انه كان رأساً في صدق اللهجة والأمانة ، صاحب سنّة واتباع ولزوم للفرائض . قال : « وهو الذي حبب اليّ طلب الحديث » .

ويصحّ ان يقال ان ولعه بالتاريخ جاء من طريق البرزالي أيضاً . إذ نعته بـ [مؤرخ العصر] .

وعصره من أجل العصور التالية للعصور العباسية ومن معاصريه ابن تيمية وابن الزملكاني . وترجمته في مراجع عديدة[2] وكل ما نقوله ان حياته العلمية دامت من سنة ٦٨٤ هـ الى سنة ٧٣٩ هـ لمدة ٥٥ سنة ، فأجمع العلماء على الثناء عليه وعلى جميل سجاياه ، وعلو أخلاقه .

وما جاء في دائرة المعارف الاسلامية من انه ولد في اشبيلية ، ورحل الى الشرق ، وان من أهم مصنفاته تاريخ مصر ودمشق ، وأن أبا شامة وضع تاريخه الى سنة ٧٢٨ هـ ، وأتمه تلميذه ابن الرافعي ، وكتب تاريخاً موجزاً للسنوات ٦٠١ هـ — ٧٣٦ هـ ومختصر المائة السابعة ... كل هذا غير صواب ، فان أسرته سكنت الشام من أيام جدّه الأعلى ، وانّ تاريخ مصر ودمشق لشمس الدّين ابن الجزري لا للبرزالي وان ابا شامة وضع تاريخه الى سنة ٦٦٥ هـ وان ابن الرافعي صوابه ابن رافع السلامي ، وان التاريخ الموجز ومختصر المائة السابعة لم يكونا للبرزالي على ما سيجيء .. وكما أوضحت ذلك كله في مجلة [العالم الاسلامي] البغدادية[3] .

(١) تاريخ ابن كثير ج ١٤ ص ١٨٦ . (٢) البدر الطالع ج ٢ ص ٥١ ، وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٢٨٣ وذيولها ص ١٨ و ٣٥٣ والدرر الكامنة ج ٣ ص ٢٣٧ ، وطبقات السبكي ج ٦ ص ٢٤٦ . (٣) العالم الاسلامي ج ١ ص ٢٠٥ .

٣ — تاريخه : للمترجم مصنفات عديدة من أشهرها تاريخه جعله ذيلاً على تاريخ أبي شامة [ذيل الروضتين]، وأما تاريخ البرزالي فقد سمي بـ [المقتفي لتاريخ أبي شامة] واشتهر بـ [تاريخ البرزالي] . وهو معوّل مؤرخين عديدين . ونسخته الوحيدة في [سراي طوپقپو] في خزانة السلطان أحمد الثالث ورقمها ٢٩٥١ ، أولها :

« الحمد لله مبدي العالم ومبيده ، وناشره من الأجداث ومعيده الخ . » اهـ

ويوضح اشتغاله في التاريخ ما جاء في مقدمة تاريخه قال :

« ان علم التاريخ من أحسن العلوم وأشهاها ، وأجلّ الفوائد وابهاها ، وأكمل المحاضرات وازهاها . لأنه سبيل الى الاعتبار ، ومنهاج يعين على الاستبصار ، وتحفة تريك من مضى من الأمم عياناً ، ونزهة تشرح للمطالع فيه قلباً ، وتبسط له لساناً . وكان تاريخ الشيخ ... المعروف بأبي شامة ... انتهى فيه الى سنة ٦٦٥ هـ ، وهي سنة مولدي مجموعاً حسناً ، وذيلا ... حسناً . ولما طالعته ، وحصلت به نسخة ، وقابلته احببت ان أذيل عليه من تلك السنة ، وان احذو حذوه فيما أتقنه وبينه ، وان اهتدي بأنواره ، وان اعدّ من اعوانه وانصاره ليكون تاريخه معلماً ، واتقانه محكماً . والمسئول من لطف الله تعالى الاعانة ، ومن جميل كرمه الإبانة ... » اهـ .

ومن هنا نشأت حياته التاريخية في هذا الأثر الجليل . وتعين فيه نهجه في التاريخ ، وعرفت درجة الاهتمام به . وكانت الصلة السياسية والعلمية مكينة بين مصر والشام لا تخفى على متطلعها ، وكذا في سائر الممالك والأقطار العربية والاسلامية فلم تكن مجهولة لمن اراد التطلع اليها والتأهب لاستجلاء الأخبار من من معادنها ، فكتب ما كتب في التاريخ بدأ من حيث انتهى سابقه .

وتاريخه هذا يبتدئ الجلد الأول منه بحوادث سنة ٦٦٥ هـ ، وينتهي بسنة ٦٩٨ هـ في مجلد ضخم ، والجلد الثاني منه يبتدئ بسنة ٦٩٩ هـ ، وينتهي بسنة ٧٢٠ هـ ، ويتم بحوادث تلك السنة .

قال في آخره :

« ويتلوه في الثالث سنة ٧٢١ هـ والحمد لله رب العالمين ... ووافق الفراغ من كتابته في ٥ ربيع الآخر سنة ٧٢١ هـ على يد العبد الفقير الى رحمة ربه محمد بن محمد بن علي الانصاري عرف بابن الحبوبي . [1] » اهـ

وجاء في آخر هذا الجزء :

« قوبل هذا المجلد والذي قبله مع جامعه في مجالس آخرها ثامن ربيع الآخر سنة ٧٢١ هـ بدمشق والحمد لله وحده . كتبه القاسم بن محمد البرزالى . » اهـ

ولم أعثر على باقي مجلداته الا ان صاحب اللمعات البرقية قد نقل بعض النصوص منه مما يدل على وجوده في عصره . ولعل الأيام تكشف عنها . وهذه النسخة من الأصول المهمة ، وتصلح لتصحيح ما جاء في التواريخ الأخرى المنقولة منها أو من الأصل واذا عدمنا بقية اجزائه فلا نحرم مختصراته لابن كثير ، وللعيني ، وابن الجزري ...

وحاجتنا في ان لا يبقى غموض او خفاء في تاريخنا . . وهذه النسخة تنفي ما جاء في كشف الظنون من قوله انه لم يبيض . ويجوز ان يكون في حالة المسودة ما جاء بعد هذين المجلدين .

٣ - الصلات التاريخية :

ان مؤرخين عديدين كانت لهم الصلة المتينة بتاريخه ، وشمس الدين ابن الجزري من اقدمهم كان ينقل منه ، وقد مرّ الكلام عليه [2] . ومن اكثر من لهم صلة به الذهبي وابن كثير وابن رافع السلامي ، ومثله العيني وابن حجر ... وتاريخنا العلمي والأدبي أصابته جفوة ولحقه إهمال مدة ، فلم يكن متصلاً بنا اتصالاً

(١) وهذا الرجل رأيت تاريخاً في خزانة الملة باستانبول سمي [تاريخ الكرد] لم يعرف اسم مؤلفه ، وجدت اسمه عليه باعتباره مالكاً له . ومن هنا يعلم أنه من تواريخ الشام ، وتهم معرفته لأيام الايرانيين وحوادث الخلافة العباسية لأيامها الاخيرة وفي الدرر الكامنة نعته بسبط ابن الحبوبي وتوفي في رمضان سنة ٧٢٢ هـ ولا شك انه توفي بعد أن كتب هذا التاريخ بمدة قليلة وترجمته في الدرر ج ٤ ص ١٩١ .

(٢) المجمع العلمي ج ١٩ ص ٥٤٤ .

وثيقاً ، فالأيام لا تزال تبدي غير ما عرف بالأمس . تجلت فيه الرغبات ، ووافقت مختلف الأذواق والنفسيات فلا نجد تاريخاً لا ينال حظاً من الإلتفات ، أو لا يؤدي غرضاً من أغراض التاريخ في مادته أو في أسلوبه ونهجه ... مما جعل العلاقة مكينة .

ويطول بنا تعداد درجات تلك العلاقات بتاريخ البرزالي من مؤرخين عديدين وإنما أذكر تاريخ ابن كثير ، اذ مرت مباحث فيه ... فهذا التاريخ لخص تاريخ أبي شامة اعني [ذيل الروضتين] . وانتقى [تاريخ البرزالي] ثم جعله عاماً ، فضمّ اليه الملخصين بعد ان حذف منها ما وجده واجب الحذف مما دعا أن يوجه عليه النقد ، ويندّد به المؤرخون من جراء انه أخلّ برجال كثيرين .

وما جاء في دائرة المعارف الاسلامية ، وفي فهرس خزانة برلين قسم التاريخ عن كتاب [المنتخب من تاريخ البرزالي] . فهو لابن كثير قطعاً اختصره ابن كثير من البرزالي وضمه الى تاريخه [البداية والنهاية] .

قال في آخره :

« وهذا آخر ما أرّخ شيخنا الحافظ علم الدين البرزالي في كتابه الذي ذيل به على تاريخ الشيخ شهاب الدين ابي شامة المقدسي . وكانت وفاة البرزالي في العام القابل وهو محرم [1] بمنزلة خليص رحمه الله . وقد ذيلت على تاريخه الى زماننا هذا . وكان فرغي من الانتقاء من تاريخه في يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة من سنة ٧٥١ هـ أحسن الله خاتمتها آمين الى هنا انتهى ما كتبته من لدن خلق آدم الى زماننا هذا . ولله الحمد والمنة . كتبه اسماعيل ابن كثير ابن ضوء القرشي الشافعي عفا الله عنه وكتبه لنفسه افقر عباد الله وأحوجهم الى رحمة ربه محبّ أهل السنة وخادمهم محمد ابن سلطان ابن سعيد البعلي الحنبلي عفا الله عنه بمنه وكرمه » اهـ [2]

---

(١) في مجلة العالم الاسلامي جاء التصحيح بـ (المحرم) للدلالة على الشهر الأول من شهور السنة العربية في حين أن المراد هو إحرامه في الحج من أحرم يحرم فاقتضى التنبيه .

(٢) فهرس خزانة برلين ج ٩ ص ٥٦ ورقم ٩٤٤٩ .

وهذه النسخة منقولة عيناً من نسخته ، واعتقد انه لم يبق ريب في أن ابن كثير لخصه ، وأضاف اليه ملخص تاريخ ابي شامة ، وما اعتمده من تواريخ أخرى من لدن خلق آدم ، وذيل عليه الى زمانه ، فكان المجموع [تاريخ ابن كثير] ، وان تداول الملخصات لا يمنع ان يكون قد جمعها في التاريخ وان كاتب چلبي بيّن انه انتهى بتاريخه الى آخر سنة ٧٣٨ هـ وهو آخر ما لخصه من تاريخ البرزالي وكتب حوادث الى قبيل وفاته بسنتين ·

ولا نتوغل في البيان عن ابن حجي الحسباني الدمشقي ، وابن قاضي شهبة ولا عن الآخرين ممن لهم علاقة بابن كثير والتذييل عليه ، فموضوع بحثنا البرزالي فقد عرفنا علاقته ، وعلمنا سلسلة الاتصال التاريخي ، فلا يخلو مؤرخ معاصر ، أو تالٍ لعصره من التأثر بتاريخه · فهو العمدة في الوثوق والصدق والعناية في الأخبار فاذا كانت ملخصاته اليوم غذاءنا التاريخي ، فلا ريب أننا في ضرورة ملحة للاطلاع على الأصل ، والأخذ منه رأساً ، فلا نعوّل على من جعله رأس ماله ، فتقف عند اختياره واختصاره ·

وأما التاريخ المسمى [تاريخ المائة السابعة وما بعدها] فقد جاء أنه اختصره القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد البرزالي وكان قد بدأ بسنة ٦٠١ هـ · قال : فيها توفي احمد بن سالم من صلحاء الحنابلة مات بزرع ، واحمد بن سلمان الحربي الملقب بالسكر ، والياس بن جامع الخ[1] وقال في آخره :

« ويتلوه سنة ٧٣٧ هـ · كتب سنة ٩٥٠ هـ · » اهـ ، وهذا لم يكن تاريخ ابن كثير · والظاهر انه مجهول المؤلف ·

٤ — مؤلفاته الأخرى :

ليس من موضوع بحثنا ان نستقصي مؤلفاته · وقد ذكر جملة منها بروكلمن في كتابه [تاريخ آداب اللغة العربية] · وانما يهمنا منها ما كان في التاريخ ، والأمل ان يكشف التتبع عنها ، ويعيّن مواطن وجودها · والجدير بالذكر منها :

(١) خزانة كتب برلين ج ٩ ص ٥٦ ورقم ٩٤٤٨

١) معجم شيوخه . في تاريخ العلماء والآخذين عنهم . وهو في مجلدات كثيرة . ونقل العلماء منه الشيء الكثير ، وأطروه . ورأينا ذكره مكرراً في [منتخب المختار في علماء بغداد] . وغالب من كتب في العلماء ووفياتهم رجع اليه . وقد مرت الاشارة الى ما خرجه له المحدث شمس الدين بن سعد من مشيخة ... ومدحه الذهبي .

٢) معجم البلدان والقرى . لم نعثر على نسخة من هذا الأثر ، ولعلها شذت عن النظر ، ونرجو ان ينبه عليها من كان يعلم بوجودها . وفي أيام المؤرخ شمس الدين محمد بن علي بن احمد بن طولون المتوفى في جمادى الأولى سنة ٩٥٣ هـ — ١٥٤٦ م كانت موجودة وأخذ منها بعض النصوص [١] .

هذا ما اقتضى بيانه من التعريف بالبرزالي وتاريخه الأصلي .

وتوفي في ٤ ذي الحجة سنة ٧٣٩ هـ — ١٣٣٩ م وللمترجم زوجة عالمة فاضلة اسمها دنيا بنت حسن بن بلبان الدمشقية جاء في الدرر الكامنة أنها ولدت سنة ٦٧٨ هـ — ١٢٧٩ م . وسمعت من يوسف ابن الغسولي وغيره ، قال وسمع منها شيخنا العراقي في جمادى الآخرة سنة ٧٥٩ هـ — ١٣٥٨ م . [٢]

اكتفي بهذا . والله ولي الأمر .

(بغداد) عباس العزاوي

---

(١) اللمعات البرقية في النكت التاريخية ص ٣٥ من طبعة سنة ١٣٤٨ هـ في مطبعة الترقي بدمشق

(٢) الدرر الكامنة ج ٢ ص ١٠٢ .

دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها

- ٦ -

اللغـة

٦١ [١٢] السامي في الأسامي

للشاعر الفارسي الكبير ابي عبد الله جعفر بن محمد بن حكيم بن عبد الرحمن المشهور برودكي (— ٣٩٢) وهو نسخة حسنة تشمل على ابحاث لغوية بالعربية والفارسية وهو غير كتاب السامي في الأسامي لأبي الفضل احمد بن محمد الميداني النيسابوري (— ٥١٨)

ويلي هذا الكتاب كتاب آخر لرودكي واسمه [تاج المصادر في العربية والفارسية] [1]

الأدب

٦٢ [٣] كتاب الفاضل من الأدب الكامل

لأبي الطيب محمد بن احمد بن اسحق بن يحيى الوشاء الاعرابي النحوي صاحب كتاب الموشى (— ٣٢٥ [2]) وهو كتاب من امهات كتب الأدب يعني الاستاذ الجليل احمد سامح بك الخالدي بنشره ومن الكتاب نسخة أخرى بمكتبة البلدية بالاسكندرية كما أشار الى ذلك ناشر كتاب تاريخ بغداد اثناء كلامه في ترجمة الوشاء [3] وقد أخطأ بروكلمان في نسبة هذا الكتاب الى محمد بن زياد بن الاعرابي النحوي اللغوي (— ٢٣١ [4]) ومن هذا الكتاب نسخة ثالثة في دار الكتب المصرية ذكر انها لمجهول وأبوابها تنطبق على فصول كتابنا هذا ورقمها (٢٣ ش) انظر فهرس الدار الطبعة الأخيرة ٣/٢٦٥ .

---

(١) انظر أخبار رودكي في كتاب الأنساب للسمعاني وكتاب « جهار مقاله ص ٣١ و٣٣ ومعجم البلدان ٢ : ٨٣٣ وكتاب سخن وسخنوران ١ : ٣ » . (٢) تاريخ بغداد للخطيب ١ : ٢٥٦ وبروكلمان ١ : ١٢٦ والذيل ١ : ١٨٩ (٣) برنامج : ٥٠ (٤) الذيل ١ : ١٨٠ رقم [٣] .

٦٣ [٤] كتاب النوادر لمحمد بن زياد بن الاعرابي (— ٢٣١ [١])

الجزء الاول فقط وهو من املاء ابي العباس احمد بن يحيى النحوي عن ابن الاعرابي والنسخة فريدة قيمة قديمة العهد . ولهذا الكتاب ذكر في كتاب المؤتلف للآمدي ص ١٦٠ وكتاب الكنايات للجرجاني ص ٨٣ وبغية الوعاة للسيوطي ص ٤٣ وكشف الظنون ٢ / ٦١٦ ولا يعرف بروكلمان نسخة من هذا الكتاب [٢]

٦٤ [١٢] الكتاب العزيز (ي) المحلى [٣] بالذهب

املاء [عزيز] الدين بن الكمالي المنصوري بن المخلطة المالكي (— ٨٨) قال في كش « هو في المحاضرات على أبواب [٤] » وهو في ٥٠٠ نادرة ومنه نسخة ببرلين رقمها ٨٤٠٥ وفي مكاتب الآستانة نسخ ذكرها بروكلمان [٥] . والنسخة نفيسة بخط المؤلف .

٦٥ [١٢] منادح الممادح وروضة المآثر والمفاخر في مآثر الملك الناصر [٣]

لأبي الفضل عبد المنعم بن عمر بن حسان الغساني الأندلسي الجلياني (— ٦٠٢ [٦] أو سنة ٦٠٥ او سنة ٦٠٦ [٣])

وهو الكتاب المشهور بالمدبجات في مدح الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي . والنسخة ملوكية تزدان بجداول وزخارف هندسية رائعة ، واصباغ مختلفة صفراء وحمراء وزرقاء وسوداء وعن هذا الكتاب نقلت نسخة المكتبة الظاهرية بعناية والي سورية العثماني رؤوف باشا ورقمها ٢٢٨ آداب منثورة وقد كتب الأستاذ الفاضل العلامة عبد الله مخلص بحثاً قيماً عن هذا الكتاب في مجلة المجمع العلمي العربي هذه [٩ / ٢٣٦ — ٢٣٩] فليرجع اليها من يريد التوسع .

ومن هذا الكتاب نسخة في مكتبة جامعة أبساله كتب عنها الأستاذ المستشرق K. V. Zetterstéen مقالة في مجلة اسلاميكا Islamica II , 592 ومن الكتاب

---

(١) بروكلمان ١ : ١١٦ والذيل ١ : ١٧٩ (٢) برنامج : ٤٥ (٣) برنامج : ٤٦

(٤) كش ٢ : ١١٦ وبروكلمان ٢ : ٥٧ (٥) الذيل ١ : ٥٩٧ (٦) بروكلمان ١ : ٣٠٩ والذيل ٢ : ٧٨٥ وكش ١ : ٥٠٦ ومجلة المجمع العلمي العربي ٩ : ٢٣٧

نسخة في المكتبة الوطنية بباريس رقمها ٣١٤٠ . وقد قارن الأستاذ Zettersteen بين النسختين الأخيرتين ونشر بعض فصول لا توجد في النسخة الباريزية .

٦٤ [٣٨] مجموع فيه [١] :

(١) الاعلام بقواطع الاسلام لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي المكي الأزهري [٢] (– ٩٧٣) والنسخة حسنة كتبها ولي الدين بن محمد بن عبد الحق ابن جماعة المقدسي سنة ١٠٧٠ هـ

(٢) شرحان الكتاب الايساغوجي في المنطق لمؤلف مجهول

(٣) ديوان الحيوان للجلال السيوطي وهو مختصر حياة الحيوان الصغرى لكمال الدين ابي البقاء محمد بن موسى بن عيسى الدميري (– ٨٠٨ [٣]) والنسخة حسنة كتبت سنة ١٠٧٠هـ .

السياسة والقوانين

٦٥ [١] الكياسة في السياسة لمؤلف مجهول وهو كتاب حسن في الحسبة وآدابها والسياسة الشرعية والمدنية كتبه يوسف بن محسن بن احمد الصيداوي الحنبلي في صالحية دمشق ٨٨٤ . ولم أر اسم هذا الكتاب ولا أي اشارة اليه فيما بين يدي من مراجع [٤]

الدواوين والمدائح النبوية

٦٦ [٦] الزجاجة البلورية في شرح القصيدة الميمية الخميرية لابن الفارض [٥] ابي القاسم عمر الحموي المصري الصوفي (– ٦٢٨ [٦]) وهو شرح للقصيدة المشهورة التي أولها :

شربنا على ذكر الحبيب مدامة   سكرنا بها من قبل ان تخلق الكرم

(١) برنامج : ٤٧ (٢) بروكلمان ٢ : ٣٨٨ رقم [٣] والذيل ٢ : ٥٢٧ (٣) بروكلمان ٢ : ١٣٨ والذيل ٢ : ١٧١ رقم [٣] . (٤) من أفضل ما كتب في هذا الموضوع مقال الأستاذ عبد الله مخلص في مجلة المجمع العلمي ١٨ : ٣٣٩ وما بعدها ولا ذكر لهذا الكتاب فيها ومقال الأستاذ كوركيس عواد في المجلة نفسها ١٨ : ٤١٧ (٥) برنامج : ٤٩ (٦) بروكلمان ١ : ٢٦٣ والذيل ١ : ٤٦٤

الفه شمس الدين محمد بن محمد العمري المشهور بسبط المرصفي (— ٩٥٩) ٠ وقد سها الأستاذ مخلص فقال في مجلة المجمع العلمي « ان كتاب الزجاجة البلورية هو شرح لقصيدة الحميرية لنشوان وأن منه نسخة في المكتبة التيمورية ذكرتها مجلة المقتبس[1] » والصواب ما ذكرناه ٠ والنسخة الخالدية حسنة مكتوبة في سنة ١٠٧٠ ٠

٦٧ [١١] ديوان الملك الأمجد ابي المظفر بهرام شاه بن الملك عز الدين فرّوخشاه بن شاهنشاه ايوب صاحب بعلبك (— ٦٢٨) ٠

قال عنه ابن خلكان « كان فيه فضل وله ديوان شعر ٠٠٠ قتله مملوكه في داره بدمشق[2] » ٠ وقال ابن شاكر الكتبي « كان اديباً فاضلاً له ديوان شعر موجود بأيدي الناس[3] » ثم أورد له بعض مقطعات من ديوانه ٠

ومن الديوان نسخة بباريس رقمها ٣١٤٢ وصفها دي سلان بقوله « ان كل قصائد هذا الديوان — الذي نظم القسم الأول منه في سنة ٦٠٤ — في النسيب والغزل والحماسة[4] » ومن الديوان نسخة بمكتبة نور عثمانية بالآستانه رقمها ٣٧٩٦ واخرى بمكتبة منشن رقمها ٤٥٧ ونسخة الخالدية حسنة الخط والورق كتبها هبة الله الدبري سنة ١٠٢٧ هـ بقلم نسخي[5] ٠

٦٨ [٢٣] ايضاح المبهم بشرح لامية العجم[5] لمؤيد الدين الحسن (الحسين) ابن علي الطغرائي الاصفهاني (— ٥١٥) ألفه سعيد بن مسعود الصنهاجي أبو جمعه (— ٩٩٠ ؟) ومن الكتاب نسخ عديدة ذكرها بروكلمان[6] ونسختنا هذه مكتوبة بقلم نسخي حسن سنة ١١٨٣ هـ ٠

٦٩ [٢١] شرح القصائد النجديات في النسيب[7] لأبي المطهر (المظفر) محمد ابن احمد الأبيوردي الاموي (— ٥٠٧[8]) وهي قصائد في النسيب عدد أبياتها الألف قال ابن السمعاني عن صاحبها « اوحد عصره وفريد دهره في

(١) انظر مجلة المجمع العلمي العربي ٤ : ٦١٢ (٢) وفيات الأعيان طبع بولاق ١ : ٢٧٩
(٣) فوات الوفيات طبع بولاق ١ : ٨١ : ٨٢ (٤) دي سلان ص٥٥٥ (٥) برنامج ٥٠
(٦) بروكلمان ١ : ٢٤٨ والذيل ١ : ٤٤٠ (٧) برنامج : ٥١ (٨) بروكلمان ١ : ٢٥٣ والذيل ١ : ٤٤٧ وكش ٢ : ٥٧٦ وبغية الوعاة للسيوطي : ص ١٦

معرفة اللغة والأنساب وغيره » وقد نقل هذا الكلام السيوطي في البغية وزاد عليه بما نصه « اورد له من شعره بما عجز عنه الاوائل من معان لم يسبق اليها واليق ما وصف به قول ابي العلاء المعري :

واني وان كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل »

والشارح هو عبيد الله المصري المشهور بزين العرب ولم أعثر على شيء من اخباره الا ان بروكلمان يذكر ان له ابناً كان يعيش في سنة ٧٥٠ [١]

ومن الكتاب نسخ متعددة ذكرها بروكلمان ، وعنه بحث قيم في مجلة المستشرقين الألمان ZDMG , 64 , 512 .

٧٠ [٢٥] شرح القصيدة البائية [٢] لذي الرمة غيلان بن عقبة (— ١٠٧ [٣]) وهي التي أولها :

ما بال عينك منها الدمع ينسكب كأنها من كلى مفرية سرب

والشارح هو ابو عبد الله الحسين بن علي الزوزني (— ٤٨٦ [٤]) صاحب المعلقات ومن هذا الكتاب نسخة اخرى في دار الكتب المصرية رقمها (٢٤٧) ولا نعرف غير هاتين نسخة ثالثة في المكاتب الأخرى .

المدائح النبوية

٧١ [٥] الحلة الابراهيمية في تخميس القصيدة الهمزية [٥] لشرف الدين [علي] محمد بن سعيد البوصيري الدلاصي (— ٦٩٤ [٦]) والمخمس هو ابراهيم بن محمد المعروف بابن سفر الأزهري الغزي الحنفي (— ١١٥٢) الذي ترجمه صاحب سلك الدرر ترجمة حسنة [٧] ، والنسخة فريدة كتبت سنة ١١٣٦ .

٧٢ [١١] الشجرة في ذكر النبي الكريم وأصحابه العشرة [٥]

لأبي محمد عبد العزيز عز الدين بن احمد بن سعيد الديريني الدميري (— ٦٩٧ [٨])

---

(١) الذيل ١ : ٤٤٨ (٢) برنامج : ٥١ (٣) بروكلمان ١ : ٥١ والذيل ١ : ٨٧
(٤) بروكلمان ١ : ٢٨٨ والذيل ١ : ٥٠٥ (٥) برنامج : ٥٢ (٦) بروكلمان ١ : ٢٦٦
والذيل ١ : ٤٧٠ وكش ٣ : ٢٣٦ (٧) ١ : ٣٠ — ٣٢ (٨) بروكلمان ١ : ٤٥١ والذيل ١ : ٨١١

وهي ارجوزة في السيرة النبوية وأحوال العشرة المبشرين بالجنة وأولها :

الحمد لله المنير الهادي الملك الحق البديع البادي

وقد رتب فيها السيرة النبوية على أبواب ثم رتب سيرة العشرة على عشرة فصول . والنسخة حسنة قيمة كتبت ايام المؤلف سنة ٦٧٥ ومن الكتاب نسخة حديثة بدار الكتب المصرية مكتوبة سنة ١٣١٥ [١]

السيرة النبوية والمناقب

٧٣ [١٤] شرح السيرة النبوية [٢] لأبي الفتح محمد بن محمد بن محمد بن احمد المشهور بابن سيد الناس اليعمري الأندلسي (— ٧٣٤ [٣]) شرحها ابوعبد الله عز الدين محمد بن ابي بكر بن عبد العزيز بن محمد ابن جماعة الحموي الكناني (— ٨١٩ [٤]) والنسخة فريدة وهي مسودة المؤلف .

٧٤ [١٥] مجموع فيه [٥]

(١) سفر السعادة في السيرة النبوية لأبي الظاهر محمد بن يعقوب بن محمد بن ابرهيم مجد الدين الفيروزآبادي الشيرازي صاحب القاموس المحيط (— ٨١٧ [٦])

(٢) الدرر المضية في السيرة النبوية لتقي الدين بن عبد الغني بن عبد الواحد ابن مرور الجماعيلي المقدسي الحنبلي (— ٦٠٠ [٧]) . والنسخة حسنة مكتوبة في القرن السابع أو أوائل القرن الثامن . ومنها نسخة اخرى بباريس رقمها ١٩٦٦

٧٥ [٢٣] قصص الأنبياء لأحمد بن محمد بن عمر المقدسي الشافعي المؤرخ (— ٨٥٦) وقد كتب على صدر الكتاب ان أحمد هذا اشهر بابن ابي عدسة ويذكر المجير الحنبلي ان الصواب هو ابن زوجة ابي عذيبة نسبة الى زوج والدته الخواجا محمد بن احمد بن حاجي المشهور بمولانا شمس الدين ابي عذيبة [٨] وان

---

(١) انظر فهرس دار الكتب ٥ : ٢٢٨ (٢) برنامج : ٥٣ (٣) بروكلمان ٢ : ٧١ والذيل ٢ : ٧٧ (٤) بروكلمان ٢ : ٩٤ والذيل ٢ : ١١٢ والضوء اللامع للسخاوي ٧ : ١٧١ (٥) برنامج : ٥٣ (٦) بروكلمان ٢ : ١٨٣ والذيل ٢ : ٢٣٤ رقم [١٠] والاعلام ١٠٠٣ (٧) بروكلمان ١ : ٣٥٦ والذيل : ٦٠٦ (٨) انظر الأنس الجليل ٢ : ٥١١ و ٢ : ٥٢٤

ابي عذيبة هذا هو صاحب التاريخ الكبير الذي وصفه الأستاذ الجليل السيد كاظم الدجيلي في الهلال ٣٨/٦١٧ وسمى صاحبه ابن ابي عدسة والصحيح ما اثبتناه نحن ههنا[1] . ونسخة القصص المذكورة بخط المؤلف .

٧٦ [٣٦] منتخب روض الرياحين في حكاية وأحوال الصالحين[2]

لعفيف الدين عبد الله بن اسعد اليافعي التميمي (— ٧٦٨[3]) المنتخب مجهول والنسخة مكتوبة سنة ١٠٧٧

كتب التراجم

٧٧ [١٤] رونق الألفاظ بمعجم الحفاظ[4] لأبي المحاسن جمال الدين يوسف ابن شاهين الكركي المشهور بسبط بن حجر العسقلاني (— ٨٩٩[5]) والنسخة تشتمل على النصف الثاني من الكتاب وأغلب الظن أنها مسودة المؤلف وعليها خط الحافظ زين الدين الدين ابي الفضل القاسم بن عبد الله المشهور بابن قطلوبغا الحنفي (— ٨٧٩[6]) وفي المجلة الألمانية

Mitteilungen des Seminars fur Orientalische Sprachen X , 49

بحث عن هذا الكتاب وصاحبه .

٧٨ [١٥] الطبقات السنية في تراجم الحنفية[7] لتقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي المصري (— ١٠٠٥) او (١٠١٠[8]) والنسخة حسنة في مجلد ضخم بخط دقيق واضح وعليها خط المؤلف ومنها نسخ عديدة في مكاتب الشرق والغرب أحصاها بروكلمان وينبغي أن يضاف عليها نسخة المكتبة التيمورية ورقمها ٥٤[9] ونسخة المكتبة الحسينية[10] .

---

(١) انظر الأعلام ١ : ٧٦ (٢) برنامج : ٥٠ (٣) بروكلمان ٢ : ١٧٧ والذيل ٢ : ٢٢٨ وكش ١ : ٥٧٩ (٤) برنامج : ٥٩ (٥) الذيل ٢ : ٧٦ (٦) بروكلمان ٢ : ٨٢ والذيل ٢ : ٩٣ والاعلام : ١١٨٠] (٧) برنامج : ٦٠ (٨) بروكلمان ٢ : ٣١٢ والذيل ٢ : ٤٢٩ وخلاصة الاثر للمحبي ١ : ٤٧٩ وكش ٢ : ٩٠ والاعلام [١ : ١٦٤]
(٩) انظر مجلة المقتبس ٧ : ٤٥٥ (١٠) انظر مجلة الهلال ٢٨ : ٣٢١

٧٩ [٢٧] مختصر[1] سيرة الإمام عبد الرؤوف المناوي[2] (— ١٠٣١)

لولده تاج الدين محمد وقد لخصه من الكتاب الكبير الذي اسماه « الحاضر والبادي » والنسخة فريدة لم أر من أشار اليها .

٨٠ [٣٠] الشعور في تراجم العور[3]

للصلاح ابي الصفاء خليل بن ايبك السيفي الصفدي (— ٧٦٤[4]) وهي كتاب وصف فيه العور وما جاء فيهم من الأمثال والنوادر والأشعار . وهو مؤلف من ست مقدمات ونتيجة . ومن الكتاب نسخ كثيرة احصاها بروكلمان وينبغي ان يضاف الى ذلك نسخة المكتبة الزكية بالقاهرة ونسخة مكتبة عارف حكمة بك بالمدينة المنورة ونسخة المكتبة التيمورية[5]

٨١ [٣١] مجموعة أدبية وتاريخية[6] بقلم صاحبها المؤرخ الحلبي المشهور بابن خطيب الناصرية علاء الدين ابي الحسن علي بن محمد بن سعيد [سعد] الحلبي قاضي حلب وطرابلس (— ٨٤٣[7])

الفلك

٨٢ [٥] مجموعة فلكية فيها[8] :

(١) رسالة في الهيئة الجديدة للفلكي الدمشقي علاء الدين ابي الحسن علي بن ابرهيم بن محمد بن الشاطر الموقت بالجامع الأموي (— ٧٧٧[9]) والنسخة حسنة مكتوبة سنة ٨٨١ هـ . وهي فريدة

(٢) نهاية السؤال في هيئة الأرض

لمحمد بن ابراهيم بن محمد الزوقي (؟) وهو رسالة لطيفة ، تشتمل على المقالة الثانية فقط من هذا الكتاب . ولم أهتد الى المؤلف . ولم أر من أشار اليه

(١) برنامج : ٦٠ (٢) الاعلام ٢ : ٥١٩ وخلاصه الاثر المحبي ٢ : ٤١٢ وسركيس ١٧٩٨ وبروكلمان ٢ : ٣٠٦ والذيل ٢ : ٤١٧ (٣) برنامج : ٦١ (٤) بروكلمان ٢ : ٣١ والذيل ٢ : ٢٨ (٥) انظر مجلة الهلال ٢٨ : ٣٢٠ (٦) برنامج : ٦١ (٧) انظر البدر الطالع للشوكاني ١ : ٤٧٦ وبروكلمان ٢ : ٣٠ والذيل ٢ : ٣٠ (٨) برنامج : ٦٦ (٩) بروكلمان ٢ : ١٢٦ والذيل ٢ : ١٥٧

(٣) خطبة الزيج على مقتضى الهيئة المبتكرة
لعلاء الدين بن الشاطر الدمشقي . وهي نسخة فريدة لم أر من أشار اليها
٨٣ [١١] مجموع فلكي فيه [١] :

(١) رسالة في علم القبلة واحكام الوقت والليل والنهار لعبد الرحمن بن محمد التاجوري . وهي رسالة صغيرة فريدة لم أر من أشار اليها او الى المؤلف
(٢) رسالة في رسم المنحرفات على الحيطان لمؤلف مجهول وهي مكتوبة سنة ١٩٠٩
(٣) غاية السؤال في شرح العشرة فصول
ليونس بن عبد الله القادري . وهي رسالة في الهيئة لم أر من أشار اليها أو الى مؤلفها

الطب والروحانيات

٨٤ [٤] كامل الصناعة في الطب [٢] . وهو المشهور باسم الكناش الملكي في الطب وباسم القانون العضدي في الطب الفه علي بن العباس المجوسي طبيب عضد الدولة البويهي (٣٣٨ — ٤٧٢ [٣])
النصف الثاني من الكتاب . ومنه نسخ متعددةٌ ذكرها بروكلمان في الذيل
٨٥ [١٠] كتاب شاناق في السموم والترياق مؤلفه شاناق الطبيب الهندي القديم نقله من لغته الهندية الى اللغة الفارسية منكه الهندي ثم نقله الى العربية ابو حاتم البلخي ليحيى بن خالد البرمكي . ثم نقل ثانيه للمأمون بعناية العباس بن سعيد الجوهري الحكيم . والنسخة قيمة جداً كتب عليها اسم أحد مالكيها علي بن حسن بن احمد بن عبد المؤمن بن بدر بن سعد بن چلبي براق سنة ٨٤٣ هـ ومن الكتاب نسخة في الخزانة التيمورية [٤]
٨٦ [١٢] الارجوزة في الطب [٥] المسماة نقع الغليل ونفع العليل للمفضل بن ماجد (مجيد) بن البشر الاسرائيلي المصري الطبيب الكاتب (— ٦٦٧ [١])
والنسخة حسنة مكتوبة سنة ١٠١٧ .

(يتبع) الدكتور اسعد طلس

(١) برنامج ٦٦ (٢) بروكلمان ١ : ٢٣٧ والذيل ١ : ٤٢٣ (٣) الهلال ٢٨ : ٣٢٦ (٤) برنامج ٧٠ (٥) بركلمان ١ : ٤٩٢ والذيل ١ : ٨٩٨ وكش ٢ : ٦١٣

اختلاج العين

في مجلة المجمع مجلد ٢٠ (ص ١١٨) بحث مستفيض للعلاّمة الشيخ عبد القادر المغربي . في قولهم : « خَلَجَت عينه واختلجت طارت » . وهو قول كثير من الصحاح ومختاره واللسان والقاموس والأوقيانس . وثابت في ما لبعضها من نسخ خطية محفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق .

وهو يرى أن « طارت » هنا مصحفة عن « حارت » وأنه تصحيف قديم .

فبعد تحقيقه الدقيق يتعذّر التعقيب . ولكن يحمل على التنقيب حب الوصول الى ما يثبت التصحيف أو ما يؤيد النص . لعله يرى رأياً آخر . والى مورد ما تيسر لي الظفر به .

معلوم ان الجوهري أقدم المذكورين عهداً . وفي دار الكتب بالاسكندرية نسخة خطية من الصحاح (رقم ٧٩٤ ب) . واضحة الخط والضبط بالشكل . وفي ختام الجزء الأول منها ما يلي : « وجدت في النسخة التي نقلت منه [illegible] منها ما صورته . نقلته من خط ابي سهل الهروي نقله من خط الجوهري [1] [illegible] رحمه الله هذا آخره والله أعلم » .

« وفي النسخة المنقول منها هذا الكتاب سماع بخط محمد بن محمد بن [illegible] الأنباري بتاريخ ذي القعدة سنة خمس وثمانين وخمس مئة » اهـ .

---

(١) قال ياقوت : « وقفت على نسخة الصحاح بخط الجوهري بدمشق عند الملك المعظم بن العادل ابن أيوب صاحب دمشق . وقد كتبها في سنة ٣٩٦ » اهـ .

ثم ان الثعالبي مواطن الجوهري ومعاصره (٣٥٠ — ٤٢٩) فهو أعلم الناس به . [illegible] ذكر ثناء أبي محمد اسمعيل بن محمد النيسابوري عليه وان عنده الصحاح بخط مؤلفه .

قلت هذا دفعاً لمن زعم أن الجوهري لم يتم الصحاح . أو أنه بيضه إلى حرف الضاد [illegible] ادعى علي بن فضال المجاشعي وان باقيه بيضه أحد الوراقين . ومعلوم أن المجاشعي كانت وفاته سنة ٤٧٩ أي بعد الجوهري بثمانين سنة ونيف .

وعبارة الجوهري المقصودة : « وَخَلَجت عينه تَخلُج وتَخلِج خلوجاً واختلجت اذا طارت وخَاجَه بعينه أي غمزه » اهـ .

وإنَّ نسخة متصلة النقل بنسخة الجوهري وبسماع من بعده لحرية بالثقة ضمينة بالأمانة . ومع هذا فقد عُدتُ الى نسخة خطية ثانية في دار الكتب . والى نسخة عندي من « المنتخب من تاج اللغة وصحاح العربية » بخط واضعه شمس الدين ابن اسمعيل وهو قد فرغ منه في ذي القعدة سنة ٨٩٤ . وهي غاية في الصحة . والنصُّ في الجميع واحد .

ولا حاجة بي الى ذكر نسخ أخرى حديثة .

فالتقاء النسخ المختلفة من الصحاح القديمة والحديثة . الخطية والمطبوعة . عند نص واحدٍ يحمل على الاعتقاد ان القول مما اثبته الجوهري .

ثم ان الصغاني وضع مصنفه « التكملة والذيل والصلة » وحجمه يزيد على ضعفي الصحاح . وقد اعتمده أئمة اللغة لما هو عليه من الصحة . وهو قد تعقب فيه الجوهري حرفاً حرفاً . وكتب في ختمه : « فمن رابه شيء مما في هذا الكتاب فلا يتسارع الى القدح والتزييف والنسبة الى التصحيف والتحريف . حتى يعاود الأصول التي استخرجته منها والمآخذ التي أخذت على تلك الاصول وانها تربي على الف مصنف [1] الخ . اهـ

وقد عقد الصغاني فصلاً ضافياً في حرف (خ ل ج) ولم يتعرض لقول الجوهري « خلجت العين واختلجت إذا طارت » ولا ذكر لاختلاج العين تفسيراً غير ما فسر به الجوهري .

ثم ان صاحب مختار الصحاح ثقة وقد أثبت قول الجوهري واقتصر عليه .

---

(١) الصغاني أتم التكملة -في العاشر من صفر سنة خمس وثلاثين وست مئة . ونسختي مأخوذة بالتصوير الشمسي عن نسخة كتبت في حياة المؤلف « فرغ من تحريرها سنة اثنتين وأربعين وست مئة » وحواشيها فيما اعتقد بخط الصغاني نفسه لأنها وما ختم به الصغاني الكتاب خط واحد . أما وفاة الصغاني فكانت سنة ٦٥٠ ومولده سنة ٥٧٧

وأما الفيروزبادي فقد أخذ عن الصحاح · وكل ما زاده عليه وخطأه فيه قد اقتبسه من الصغاني · وقد اعتمد عبارة الجوهري في تفسير «خلجت عينه واختلجت اذا طارت» · ولم يزد عليها ·

وكان العلامة الشنقيطي قد وقف على النسخة المقروءة على الفيروزبادي · وعارض بها نسخة القاموس المطبوعة سنة ١٣٠١ ونبه على كل ما وجده مخالفاً للأصل · ولم ينبه بشيء على قوله «خلجت عينه واختلجت اذا طارت» · فهو دليل آخر على ان ما في نسخة الصحاح التي اعتمدها الفيروزبادي في هذ الحرف وفق ما تقدم ·

وفي افعال ابن القوطية : (خلج ··· بالعين أشارَ ·· والعينُ والحاجبُ تحركا) اه · فأورد ابن القطاع في افعاله قول ابن القوطية ثم جاء في ما استدركه عليه : «خلجت العين طارت» اه ·

فالجوهري في من ذكرت اقدم من قال « اختلجت عينه اذا طارت » فان وفاته كانت سنة ٣٩٨ ؛ فالأشبه ان الآخرين أخذوا هذ القول عنه · فابن القطاع مولده سنة ٤٣٣ ووفاته ٥١٥ ؛ وابن منظور مولده سنة ٦٣٠ ووفاته ٧١١ والفيروزبادي عاش من سنة ٧٢٩ الى سنة ٨١٧ ·

وأما ابن القوطية فقد توفي سنة ٣٦٧ اي قبل الجوهري فلم يقل مثل قوله · وممن تقدمه ابن دريد · عاش من سنة ٢٢٣ الى سنة ٣٢١ وعبارته في الجمهرة : «خالجَ قلبي أمر إذا نازعك به فكرُك ومنه اختلاج العين وسائر الأعضاء وهو اضطرابها» · وفيها : « قالوا الخلج داء يصيب البهائم تختلج منه اعضاؤها » اه ·

وممن تقدمه أيضاً ابو منصور محمد بن احمد ابن أزهر المعروف بالأزهري صاحب تهذيب كتاب العين عاش من سنة ٢٨٢ الى ٣٧٠ ومما أثبته في تركيب « خ ل ج » : قال الليث : يقال خلج الرجل في حاجبيه عن عينيه واختلج حاجباه وعيناه اذ تحركا ··· وتخالجته الهموم ··· وقد خلجه بعينه اذا غمزه ···· وقال الليث نما يكون الخلج من تنقض العصب في العضد حتى يعالج بعد ذلك

فيستطلق وانما قيل له خلج لأن جذبه يخلج عضده .... وقال شمر التخالج التحرك يقال تخالّج واختلَج «اذا اضطرب وتحرك ومنه يقال اختلجت عينه» اه .

وأما ابن سيده الأندلسي فيكاد يتصل بعصر الجوهري (٣٩٨ - ٤٥٨) ومن عبارته في المحكم : «خلجه بعينه وحاجبه ... غمزه والعين تختلج أي تضطرب» اه .

فحيثما قال ابن دريد والأزهري وابن سيده اختلجت العين اذا اضطربت قال الجوهري ومن أخذوا عنه «طارت» . ويستبعد ان يفوت هؤلاء الثلاثة ما يعنيه العرب باختلاج العين على شيوعه وجريه في أشعارهم وأمثالهم وتفاؤلهم به بالخير من زمن الجاهلية الى عصرنا هذا ، كقول عمر بن أبي ربيعة :

اذا خلجت عيني أقول لعلها لرؤيتها تهتاج عيني وتطرب

اذا خدرت رجلي أبوح بذكرها ليذهب عن رجلي الخدور فيذهب

ومن أمثالهم : «أبشِر بما سرّك عيني تختلجْ»

وقال ابن الرومي :

لك وجهٌ تذوبُ مَقتاً وبُغضاً لهُ المُهَجْ

ما بأمثاله بشيـر جفنٌ اذا اختلَجْ

وقال ابن أبي ربيعة أيضاً :

لهُ اختلجت عيني أظنُّ عشيةً وأقبلَ ظبيٌ سانحٌ كالمبشِر

وقال ابونواس :

غابت عن الأعين حتى اذا لم أرجُ من غيبتها أوبا

اختلجت عيني فأبصرتها كأن عيني تعلمُ الغَيبا

وقال : جفنُ عينيّ كاد يسقطُ من طول ما اختلَجْ

وفؤادي لحرِّ حبِّكِ والهمْ قد نضَجْ

ومثل هذا كثير لا يغفل عنه الجوهري ومن قالوا قوله .

والذي يبدر الى الذهن أنها لغة لبعض العرب يقولون طارت العين بمعنى اختلجت أخذاً من اضطراب جناح الطائر كما قالوا رفّت بهذا المعنى أيضاً . في

من رفيف الجناح ، وقد أورد عليها الزمخشري في الأساس قول بعضهم :

لم أدرِ إلا الظنَّ ظنَّ الغائبِ أبِكِ أم بالغيث رَفَّ حاجبي

وقس على ذلك حرف « لَمَعَ » قالوا لمعَ البرق وقالو لمع الطائر بجناحيه اذا حركهما في طيرانه وخفق بهما . ومنه استعاروه لاختلاج الجفن أيضاً . قال جميل بن سيدان الأسدي . من شعراء الحماسة :

أيا جملُ هل دَينٌ مؤدّى لحينهِ فقد جلّ ذاك الدَينُ واحتاج طالبهُ

وطالت به أحلامه أن قضينهِ وظلّ بما منّيتِ يلمعُ حاجبهُ

ولمع بهذا التركيب الأخير قد اغفلوه كما اغفلوا طار .

ولا بدع ان لم تثبت الأُمهات في الباب طيرانَ الجفن لاختلاجه . فما أكثر ما لم يثبتوه : ففي حرف طار نفسه مما أغفلوه منه :

١ – الطيّار . لهذا الضرب من السفن السريعة يتخذها الأمراء والخلفاء والأعيان بمثابة ما نسميه اليوم اليخت Yacht وكان استخدامه من الشيوع في زمن الدولة العباسية وما بعدها بحيث لا تكاد تخلو واقعة من ذكره . وأذكر من ذلك عبارة أو اثنتين كي لا نرسل الكلام على عواهنه . ففي تاريخ الطبري (١١ – ٣٣٣) : « وصار الطائي إلى دجلة فدخل طيّارَهُ ليعبرها فأدركه أصحاب العبدي فتعلّقوا بكوثل الطيار فرمى الطائي بنفسه في دجلة فعبرها سباحة » اه .

وفي تاريخ الوزراء لهلال الصابي (ص ٥٠) : « ووثب العامة على ابن الفرات ورجموا طيّاره بالآجرّ » . وفيه (ص ٥١) : وركب ابو العباس ابن المقتدر بالله اليه أيضاً فخرج حافياً حتى نزل إلى طيارهِ » . وفي تجارب الأُمم لابن مسكويه : (٥ ص ٢٠) : « وفيها (اي سنة ٢٩٩) غرقت فاطمة القهرمانة في طيارها تحت الجسر » اه .

وليس في الأُمهات ذكر للطيار بهذا المعنى . وانفرد بذكره من المتأخرين صاحب أقرب الموارد . غير انه جاء عنده مرسوماً « طيارة » [بهاء] سهوا

وعبارته في ما اعتقد منقولة عن ابن الأثير (ج ٨ ص ٨٠) فقد جاء فيها الطيار مرسوماً بهاء على ان العبارة نفسها وردت في تاريخ ابن خلدون (ج ٣ ص ٣٩٣) والطيار بدون هاء .

٢ — أما الطيارة . فقد استعملها المتقدمون بمعنى المظلة للأمير وغيره وهي أيضاً مما خلت منه دواوين اللغة . ففي تاريخ الطبري . حوادث سنة ١٤ [ج ٤ ص ١١٣] : « ولما عبر أهل فارس العتيق أخذوا مصافّهم . وجلس رستم على سريره وضرب عليه طيارةً وعبّى في القلب ثمانية عشر فيلاً عليها الصناديق والرجال » الخ .

وفيه [ص ١٣٢] : « وانفرج القلب حين قام قائم الظهيرة وركد عليهم النقع . وهبت ريح عاصف فقلبت طيّارة رستم عن سريره فهوت في العتيق الخ » اه .

وقد تكرر ذكر الطيارة هذه في مروج الذهب للمسعودي والكامل لابن الأثير في وصف يوم القادسية . فهي بمثابة ما يسمونه Pavillon .

٣ — ومما خلت منه دواوين اللغة في هذا الحرف : « الطيران » و « الطيارة » في الكلام عن الأجسام [ويسمونها الأرواح] التي يضيع جوهرها في الهواء اذا عرضت للحرارة . وهو ما يسمونه التصعيد . ففي مفاتيح العلوم للخوارزمي . من أهل المئة الرابعة قال عند ذكر الكبريت والزرنيخ والزئبق والنوشادر : « سميت هذه الأرواح لأنها تطير إذا مسها النار » اه .

وفي « عجائب البرّ والبحر » لشمس الدين الدمشقي . وصَفَ النشادر بالطيّار Volatil .

ولا ذكر لهذين اللفظين في المعجمات .

٤ — وفي المقامة النجرانية للحريري انهم يطلقون « الطيار » على لسان الميزان أو معيار الذهب . وهذا اللفظ أثبته البستاني في محيطه ولم يرد قبله في شيء من أمهات اللغة .

خلاصته ان قول[1] الجوهري « طارت عينه بمعنى اختلجت » قد يكون مما أخذه عن عرب ربيعة ومضر لأنه أقام عندهم زمناً يقتبس كلامهم ·

هذا ما عنّ للخاطر عرضه والله أعلم ·

(الاسكندرية) **جبران النحاس**

---

(١) نسبة هذا القول إلى الجوهري ذهول من الأستاذ الفاضل إذ أن الجوهري في مادة (ط ي ر) لم يقل قط إن طارت عينه بمعنى اختلجت · ولو قال ذلك لما تطرق الشك إلى أن (طارت) محرفة عن (حارت) ولاعتُبر قوله نصاً في المسألة واصح لنا إذ ذاك أن نقول ربما أخذه عن عرب ربيعة ومضر فتبعه من بعده · أما من قبله من نَقَلة اللغة فلم يسمعوه حتى يدوّنوه ومن سمع حجة على من لم يسمع ويكون هذا المعنى (أي الاختلاج) لفعل طار مما انفرد به الجوهري وهو من أوثق نَقَلة اللغة بلا خلاف — وإنما هو (أي الجوهري) قاله في مادة (خلج) تفسيراً لا نصاً · وعَرَضاً لا قصداً : فقد قال (وخلجت عينه واختلجت إذا طارت) وحينئذ نقول إن هذا التفسير بطارت قد يكون تحريفاً من النساخ · وما أكثر وقوع مثله من مثلهم · وما أقرب حرف (ط) من حرف (ح) · ولا سيما أن أحداً من فحول نَقَلة اللغة ونقَدَتها (ممن عاش قبل الجوهري وفي زمنه) لم ينقل هذا التفسير ولم يدونه · وعدم نقلهم له يروّج بل يقرّب لعمري احتمال التحريف · ويقال فوق ذلك : كيف يُتوقع من الجوهري وهو أدقّ شرّاح اللغة العربية أن يفسر (الاختلاج) الشائع استعماله في أشعار العرب وأمثالهم وتفاؤلهم منذ زمن الجاهلية إلى عصرنا هذا — يفسره (بالطيران) والطيران لم يعرفه أحد ولم ينقله أحد ولم يستعمله أحد من شعرائنا ولا أدبائنا بمعنى الاختلاج !!!

نقول هذا اليوم ولعلنا نظفر في مستقبل الأيام بمن استعمله أو رواه ودوّنه أو حقّقه مثبتاً أو نافياً · فهل من يقوم فينقب ويتقصى ويفلي أسفار نصوص اللغة ومراجعها القديمة التي في بلده كما فعل الأستاذ الباحث منجمع بينهما · في الشكر لها · والتنويه بفضلها · وبالغ خدمتها للغة قومها ???

المغربي

مخطوطات ومطبوعات

فتوح الشام

لأبي اسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري المتوفى سنة ١٧٨ على وجه التقريب
طبع في كلكته بالهند سنة ١٨٥٤

نشر الأستاذ وليم ناسوليس الايرلاندي هذا الكتاب عن نسخة قديمة كانت محفوظة في خزانة كتب شاه كالي في دهلي سنة ١٨٥٠ وناسخها أحد تلاميذ الحافظ السلفي ابي طاهر احمد بن محمد الاصفهاني وقد ادى ذلك الى ان اقحم الناشر على ما يظهر جملة في متن الكتاب (ص ٣٥ وما بعدها) عن الحافظ السلفي أوقعت الشك في الكتاب لولا ان أسلوب المؤلف يناقض ذلك ولولا ان قال الناشر ان ابن حجر ينقل احياناً في كتابه معجم الصحابة من كتاب فتوح الشام كما ان الذهبي يلقب المؤلف اذا ذكره بصاحب فتوح الشام كما يلقبون ابن اسحق بصاحب السيرة والمغازي والطبري بصاحب التاريخ وابن سعد بصاحب الطبقات .

على ان الكتاب من الأمهات المعتبرة جرى فيه المؤلف على نقل الخبر بسنده وهو يروى عن الحسين بن زياد عن ابي اسمعيل محمد بن عبد الله عن غيره . ولم نعرف ان كان ابو اسمعيل هذا هو المؤلف بعينه او هو شخص آخر . وعبارة المؤلف متينة جداً ووصفه من الممتع المعجب يتلوه تاليه بلذة حتى من قرأ كتب فتوح الشام مرات . وحبذا لو تصدى احد العارفين لطبعه والتعليق عليه مع الاستفادة من تعاليق ناشره السيد الايرلاندي وهي بالانكليزية كما ان مقدمته مكتوبة بهذه اللغة .

ومن أهم ما حوى هذا الكتاب وهو في ٢٥٧ عدا الفهرس المطول الكتب التي دارت بين قواد العرب والخليفتين ابي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما فانها تزخر بالطرف من الرسائل الموجزة وأسلوب بديع من إنشاء الصحابة . ومنها ما كتبه ابو بكر الصديق الى منصور بن عدي :

«أما بعد فقد أتاني كتابك وفهمت ما ذكرت وانت كما وصفت به نفسك وعشيرتك نعم العشيرة وقد رأيت لك ان تنضم الى خالد بن الوليد فتكون معه وتقيم معه ما اقام بالعراق وتشخص معه اذا شخص منها».

ومنها كتاب ابي عبيدة بن الجراح الى ابي بكر وهو بالجابية : «بسم الله الرحمن الرحيم . اما بعد فان الروم واهل البلد ومن كان على دينهم من العرب قد اجتمعوا على حرب المسلمين ونحن نرجو النصر وانجاز موعود الرب وعادته الحسنى ، احببت اعلامك ذلك لترى فيه رأيك ان شاء الله والسلام».

ومنها كتاب خالد بن الوليد لما خرج من عين التمر مقبلاً الى الشام كتب الى المسلمين بالشام : «من خالد بن الوليد الى من بأرض العرب من المؤمنين والمسلمين سلام عليكم فاني احمد اليكم الله الذي لا إله إلا هو اما بعد فاني اسأل الله الذي أعزنا بالاسلام وشرفنا بدينه واكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وفضلنا بالايمان ، رحمة من ربنا لنا واسعة ونعمة منه علينا سابغة ، ان يتم بنا وبكم من نعمته ، واحمدوا الله عباد الله يزدكم ، وارغبوا اليه في تمام العافية يدمها لكم ، وكونوا له على نعمه من الشاكرين . وان كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني يأمرني بالمسير اليكم ، وقد شمرت وانكمشت . وكأن خيلي قد اطلت عليكم في رجال فأبشروا بانجاز موعود الله ، وحسن ثوابه عصمنا الله واياكم بالايمان ، وثبتنا واياكم على الاسلام ، ورزقنا واياكم حسن ثواب المجاهدين ، والسلام عليكم».

وكتب معه الى ابي عبيدة : «بسم الله الرحمن الرحيم لأبي عبيدة بن الجراح من خالد بن الوليد سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد فاني اسأل الله لنا ولك الأمن يوم الخوف ، والعصمة في دار الدنيا ، فقد أتاني كتاب خليفة رسول الله صلى الله عليه يأمرني بالمسير الى الشام وبالمقام على جندها والتولي لأمرها ، والله ما طلبت ذلك ولا أردته ، ولا كتبت اليه فيه ، وأنت رحمك الله على حالك التي كنت بها لا يعصى أمرك ، ولا يخالف رأيك ، ولا يقطع أمر دونك ، فانك سيد من سادات المسلمين ، لا ينكر فضلك ، ولا يستغنى

عن رأيك ، تم الله ما بنا وبك من نعمة الاحسان ، ورحمنا واياك من عذاب النار ، والسلام عليك ورحمة الله » .

ومنها : « هذا كتاب خالد بن الوليد لبني مشجعة ان لم ساقية قصم عذيها وسقيها وجلدها[1] عامر الأرض ما شرقيها وان لأهل الغوطة ما غربيها » .

ومنها كتاب ابي بكر لأبي عبيدة : « بسم الله الرحمن الرحيم . اما بعد فاني قد وليت خالداً قتال الروم بالشام فلا تخالفه واسمع له واطع امره فاني وليته عليك وانا اعلم انك خير منه ، ولكن ظننت ان له فطنة في الحرب ليست لك ، اراد الله بنا وبك سبل الرشاد ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

ومنها لما أراد خالد الشخوص من ارض دمشق الى الروم الذين اجتمعوا باجنادين كتب نسخة واحدة الى الأمراء : « بسم الله الرحمن الرحيم . اما بعد فانه قد نزل باجنادين جموع من جموع الروم غير ذي عدد ولا قوة ، والله قاصمهم وقاطع دابرهم ، وجاعل دائرة السوء عليهم ، وقد شخصت اليهم يوم سرحت رسولي اليكم ، فاذا قدم عليكم فانهضوا الى عدوكم رحمكم الله في احسن عدتكم واصح نيتكم ، ضاعف الله لكم أجوركم وحط أوزاركم والسلام عليكم ورحمة الله » .

ومنها ما كتبه عمرو بن العاص الى ابي عبيدة : « بسم الله الرحمن الرحيم . اما بعد فان الروم قد اعظمت فتح دمشق واجتمعوا من نواحي الأردن وفلسطين فتكاتبوا وتواثقوا وتعاقدوا ان لا يرجعوا الى النساء والأولاد حتى يخرجوا العرب من بلادهم ، والله مكذب قولهم وأهلهم ، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً . فاكتب إليّ برأيك في هذا الحديث ، ارشد الله امرك وسددك ، وأدام رشدك ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » .

ومنها ما كتبه ابو عبيدة الى عمر بن الخطاب يسأله رأيه في الأرض التي تغلب عليها العرب وما يصلحها وكيف يجبي خراجها : « اما بعد فان الله ذا المن والفضل والنعم العظام فتح على المسلمين من أرض الروم ، فرأت طائفة من المسلمين ان يقروا اهلها على ان يؤدوا الجزية اليهم ويكونوا عمار الأرض ، ورأت طائفة

(١) الجلد بالتحريك الأرض الصلبة المستوية المتن .

منهم ان يقتسموهم ، فليكتب الينا امير المؤمنين برأيه في ذلك أدام الله لك التوفيق (في) جميع الأمور» .

ومما قاله أمير المؤمنين في الجواب : «... فهمت ما ذكرت من الأرض التي ظهر عليها وعلى اهلها المسلمون ، فقالت طائفة نقر أهلها على ان يؤدوا الجزية الى المسلمين ويكونوا عمّار الأرض ، وقالت طائفة نقتسمهم ، واني قد نظرت فيما كتبت اليّ من هذا ففرق (؟) رأيي فيما سألتني عنه الا اني قد رأيت ان تقرهم وان تحمل الجزية عليهم وتقسمها بين المسلمين ، ويكونوا عمار الأرض ، فهم اعلم بها واقوى عليها من غيرهم . أرأيتم لو أنا اخذنا اهلها واقتسمناهم ، من كان يكون لمن يأتي بعدنا من المسلمين ، والله ما كانوا اذاً ليجدوا انساناً يكلمونه ولا يكلمهم ، ولا ينتفعون بشيء من ذوات يده ، وان هؤلاء يأكلهم المسلمون ما داموا أحياء فاذا هلكنا وهلكوا أكل ابناؤنا أبداً ما (بقوا) وكانوا عبيداً لأهل الاسلام أبداً ، ما دام دين الاسلام ظاهراً ، نضع عليهم الجزية ، وكف عنهم السباء ، وامنع المسلمين من ظلمهم والاضرار بهم ، وا كل اموالهم إلا بحقها» .

ومنها ما كتبه عمر الى ابي عبيدة لما كثر جموع الروم في حمص : «اما بعد فقد بلغني كتابك تأمرني فيه بحمد الله على افاء الله علينا من الأرض ، وفتح علينا من القلاع ، ومكن لنا في البلاد ، وصنع لنا ولكم ، وأبلانا واياكم من حسن البلاء ، فالحمد لله حمداً كثيراً ليس له نفاد . ولا يحصى له تمداد ، وذكرت انك وجهت الخيول نحو البلاد التي فيها ملك الروم وجموعهم ، فلا تفعل وابعث الى خيلك فاضممها اليك ، وأقم حتى يمضي هذا الحول وترى من رأينا ونستعين بالله ذي الجلال والاكرام على جميع أمورنا والسلام» . فكتب ابو عبيدة الى الى عماله : «أما بعد فاذا اقبل رسولي فأقبل معه ودع ما كنت وجهتك فيه حتى نرى من رأينا ، وننظر فيما يأمر فيه خليفتنا ، والسلام عليك» .

ومنها ما كتبه ابوعبيدة الى ميسرة بن مسروق : «أما بعد فاذا أتاك رسولي هذا فأقبل اليّ حين تنظر في كتابي هذا ولا توجهن على شيء : فان سلامة

رجل واحد من المسلمين احب اليّ من جميع اموال المشركين والسلام عليك » ·

ومنها ما كتبه ابو عبيدة بن الجراح الى امير المؤمنين عمر : « بسم الله الرحمن الرحيم · لعبد الله عمر امير المؤمنين من ابي عبيدة بن الجراح سلام عليك فاني احمد الله الذي لا إله إلا هو · اما بعد فانا أقمنا على ايليا وظنوا ان لهم في المطاولة بهم فرجاً ورجاء فلم يزدهم الله بها إلا ضيقاً ونقصاً وهزلاً وأزلا فلما رأوا ذلك سألونا ان نعطيهم ما كانوا به ممتنعين قبل ذلك وله كارهين وانهم سألوا الصلح على ان يقدم اليهم امير المؤمنين فيكون هو المؤمن لهم والكاتب لهم كتاباً ، وانا خشينا ان يقدم امير المؤمنين ثم يغدر القوم فيرجعون فيكون مسيرك اصلحك الله عناء وفضلاً ، فأخذنا عليهم المواثيق المغلظة بأيمانهم لئن انت قدمت عليهم فأمنتهم على انفسهم واموالهم ليقبلن ذلك وليؤدين الجزية وليدخلن فيما دخل فيه اهل الذمة ففعلوا واخذنا عليهم الأيمان بذلك · فان رأيت يا أمير المؤمنين ان تقدم علينا فافعل فان في مسيرك اجراً وصلاحاً وعافية للمسلمين · اراك الله مرشدك ويسر امرك والسلام عليك » ·

وفيها ما كتبه عمر بن الخطاب الى يزيد بن ابي سفيان : « أما بعد فقد وليتك اجناد الشام كله وكتبت اليهم ان يسمعوا لك ويطيعوا والا يخالفوا لك أمراً فاخرج بالمسلمين ثم سر الى قيسارية فانزل عليها ثم لا تفارقها حتى يفتحها الله عليك فانه لا ينبغي افتتاح ما افتتحتم من أرض الشام مع مقام اهل قيسارية فيها وهم عدوكم والى جانبكم وانه لا يزال قيصر طامعاً في الشام ما بقي فيها احد من اهل طاعته (متبعاً) ولو قد فتحتموها قطع الله رجاءه من جميع الشام والله عز وجل فاعل ذلك وصانع للمسلمين ان شاء الله » ·

ومن جميل صفحات هذا الكتاب ما وصف به المؤرخ سيدنا عمر بن الخطاب يوم وصوله الى الشام : « قال ثم خرج من الجابية الى ايليا فخرج اليه المسلمون يستقبلونه وخرج اليه ابو عبيدة بالناس وخرج ببرذون ليركبه وأقبل عمر رضي الله عنه على جمل له وعليه رحله وعليه صفة من جلد كبش حولي فانتهى الى

(مخالبة ؟) وأقبلوا يبتدرونه فقال للمسلمين مكانكم ثم نزل عمر رضي الله عنه عن بعيره فأخذ زمام جمله وزمامه من ليف ثم دخل (الماء بين) يدي جمله حتى جاز الماء الى اصحاب ابي عبيدة فاذا معهم برذون يجلبونه فقالوا يا أمير المؤمنين اركب هذا البرذون فانه اجمل بك وأهون عليك في ركوبك ولا نحب ان يراك أهل الذمة في مثل هذه الهيئة التي نراك فيها واستقبلوه بثياب بيض فنزل عمر رضي الله عنه عن جمله وركب البرذون وترك الثياب فلما هملج به البرذون نزل عنه وقال : خذوا هذا عني فان هذا شيطان وأخاف ان يغير عليّ قلبي . قالوا : يا أمير المؤمنين فلو لبست هذه الثياب البيض وركبت هذا البرذون لكان أجمل في المروءة وأحسن في الذكر وخيراً في الجهاد ، فقال لهم عمر رضي الله عنه : ويحكم لا تعتزوا بغير ما أعزكم الله به فتذلوا ثم مضى ومضى المسلمون معه حتى أتى ايليا فنزل بها فأتاه رجال من المسلمين فيهم ابن الأعور السلمي وقد لبسوا لباس الروم وتشبهوا بهم في هيئتهم فقال عمر رضي الله عنه احثوا في وجوههم التراب حتى يرجعوا الى هيئتنا وسنتنا ولباسنا وكانوا قد أظهروا اشياء من الديباج ثم أمر بهم فخرق ذلك عليهم فقال له يزيد بن أبي سفيان : يا أمير المؤمنين ان الدواب والثياب عندنا كثيرة والعيش عندنا رفيع والسعر عندنا رخيص وحال المسلمين كما (تحب) فلو انك لبست من هذه الثياب البيض وركبت من هذه الدواب الفره وأطعمت المسلمين من هذا الطعام الكثير كان أبعد للصوت وأزين لك في هذا الأمر واعظم لك في الاعاجم (!) . فقال له : يا يزيد لا والله لا أدع الهيئة التي فارقت عليها صاحبيّ ولا أتزين للناس بما أخاف ان يشينني عند ربي ولا أريد ان يعظم أمري عند الناس ويصغر عند الله . ولم يزل عمر رضي الله عنه هيئته على الأمر الأول الذي كان عليه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحياة أبي بكر رضي الله عنه حتى خرج من الدنيا » .

محمد كرد علي

شرح ديوان زهير بن أبي سلمى

صنعة الامام ابي العباس احمد بن يحيى بن زيد الشيباني المعروف بـ « ثعلب »

طبع في مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة)

يقع في اربع مئة وستين صفحة

نقي الورق ، جيد الطبع ، حسن الترتيب والتبويب

تولى طبع هذا الكتاب الأستاذ احمد زكي العدوي . فقدمه للقراء بمقدمة ممتعة ، وصفه فيها وصفاً جامعاً . وأشار الى نسخه المخطوطة التي اعتمد عليها ، ثم جلا زهيراً بثوب حافل جلوة مجملة غير انها واضحة ، ذكره بكثير مما له ، وبشيء مما عليه .

وترجم في هذه المقدمة لثعلب شارح هذا الديوان ؛ ولأبي سعيد السكري شارح ديوان ابنه : كعب بن زهير . وفي هذه المقدمة أيضاً كلمة للأستاذ « فيشر » يدلل فيها على ان شارح ديوان زهير انما هو ثعلب ، وجامع ديوان كعب هو السكري . ثم كلمة للأستاذ « سونسن » يصف بهما احدى نسخ « ديواني زهير و كعب » . وذيل هذا الشرح بفهارس تسعة :

أولها : للكلمات اللغوية المشروحة في المتن والتعليق . قال : « وعسى أن يكون فيه الفاظ أو تراكيب لم توردها معجمات اللغة فتكون مدداً ولو يسيراً لهذه المعجمات » قلنا : وهذا شيء يفيد في الوقوف على تراكيب عربية بليغة ، وفي معرفة الفاظ قد تكون مجهولة عندنا ، فاذا هي بعثت قد يُحتاج اليها فتستعمل من حيث وضعها أو عن طريق المجاز ، لاغراض تشتد الحاجة الى الفاظ تعبر عنها في عصرنا الحاضر .

ثم فهرس [1] للشعراء — فالأعلام — فالقبائل — فالأماكن — فالكتب — فالقوافي — فالأمثال — فأيام العرب .

---

(١) استعمل لفظه « فهرس » بدلاً من « فهرست » وهي أخف لفظاً وأقرب إلى الأوزان العربية ، وإن كان لبعضهم مأخذ عليها .

وفي هذا من خدمة العلم والأدب ، ومن تسهيل المراجعة ، ما يزيد في قيمة الكتاب ، ويوجب الشكر للناشر والثناء على جهوده ·

وشعر زهير ، شعر لفحول الطبقة الاولى ، لا يفتقر الى من يقرظه أو ينوه به ، والكثير منه مشهور يتردد على ألسنة الخاصة والعامة في كثير من المناسبات ·

غير ان من يتصفح هذا الديوان ، ولو على عجل — كما فعلنا — ليقول فيه كلمة عجلاء ، لا يملك نفسه عن ان يستشهد ببعض أبيات لزهير ، لم ترزق من الشهرة الحظ الذي رزقته أبياته التي اشرنا اليها ·

وشعر زهير ا كثره واجوده في هرم ابن سنان ، وفي المثل والحكمة ·

فمن قوله في هرم وقومه :

وفيهم مقامات حسان وجوهها ۝ وأندية ينتابها القول والفعل

وإن جئتهم الفيت حول بيوتهم ۝ مجالس قد يُشفى بأحلامها الجهل

وإن قام منهم قائم قال قاعد ۝ رشدت فلا غرم عليك ولا خذل

وقوله فيهم :

محسّدون على ما كان من نعم ۝ لا ينزع الله منهم ما له حسدوا

لو يوزنون عياراً أو مكايلة ۝ مالوا برضوى ولم يعدلهم أحد

ويصف الخيل وقد قذف بها فرسانها في كل صوب :

بثوا خيولهم في كل معركة ۝ كما تقاذف ضرب القَين بالشرر

ومن حكمه :

ألم تر ان الناس تخلُد بعدهم ۝ أحاديثهم والمرء ليس بخالد

ومن هذه الحكم قوله في معرفة الصديق من العدو :

ولا تسأله عما سوف يبدي ۝ ولا عن عيبه لك بالمغيب

متى تك في صديق أو عدو ۝ تخبرك الوجوه عن القلوب

ومن ذلك :

أبيت فلا أهجو الصديق ومن يبع   بعرض ابيه في المعاشر يُنفِق
ومن لا يقدّم رجله مطمئنةً   فيثبتها في مستوي الأرض تزلَق
وفي الحلم ادهان وفي العفو دُربة   وفي الصدق منجاة من الشر فاصدق
ومن يلتمس حسن الثناء بماله   يصن عرضه من كل شنعاء مُوبق
ومن لا يصن قبل النوافذ عرضه   فيحرزه يُعرَّ به ويخرق

ومن قوله :

أمشي بين قتلى قد أصيبت   نفوسهم ولم تقطر دماء

ويقول :

ولو كان حمد يُخلد الناس لم يمت   ولكن حمد الناس ليس بمخلد

وقوله :

فقرّي في ديارك ان قوماً   متى يدعوا ديارهم يهونوا

* * *

ونقف عند هذه الأبيات حتى لا يطول الكلام ، والشرح والتعليق تخللها ابيات من الشعر ، وفوائد من الأدب واللغة ، تزيد في قيمة الديوان ، وتعين على تفهم ما غمض من معانيه ، واغلق من تراكيبه .

ولا تنحصر هذه الفوائد في الأدب واللغة فقد تتناول التاريخ أيضاً .

ففي الميمية المشهورة :

علون بأنماط عتاق وكلة

قال الشارح : ويروى علون بانطاكية فوق عقمة .

قال : وهي أنماط توضع على الخدور نسبها الى انطاكية . قال : وكل شيء عندهم من قبل الشام فهو انطاكي .. وإذا كان هذا الشرح قد أقرّ حقيقة جغرافية تاريخية وهي أن انطاكية يعدها العرب — كما يعدها غيرهم — من الشام في صميمها جاهلية كما هم عدوها اسلاماً ، وانها من المكانة في هذا القطر حيث كان ينسب اليها كل شامي ، فانه قد افاد بشرحه كلمة (عقمة) فائدة صناعية لغوية ببعثه كلمة لا يستغني عنها في مهنة الحياكة .

وفي الديوان ابيات خالفت الأوزان الشعرية مخالفة لا مدخل في باب الجوازات ، وانما هي من خطأ النساخ ، منها ما أشير اليه ومنها ما لم يشر . كما ان فيه بعض الفاظ نابية ينفر عنها الذوق ، كما سهلاً ان يستبدل بها غيرها من الروايات الأخرى التي وردت فيها .

والشاعر على علو كعبه ، يخرج أحياناً عن القواعد النحوية ، فيذكر نعت المؤنث ، ويرجع الفعل مؤنثاً على مذكر سابق . وكل هذا بل أقل منه ، يؤخذ على المتأخرين ويعد عليهم خطأ ، ويؤوّل للمتقدمين ويعتذر لهم منه ، بحجة انهم كانوا قبل النحو ، وقبل ضبط اللغة ، وعنهم ومنهم أخذت اللغة ، وأخذ النحو .

عارف النكدي

ديوان الهذليين

(القسم الأول) شعر أبي ذؤيب وساعدة بن جؤيّة

مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة)

وعلى هذا الديوان شرح وتعليق مختصر — على ما جاء في المقدمة — من شرح ابي سعيد السكري . والكتاب مطبوع على غرار ديوان زهير بن ابي سلمى ، حتى لقد شابهه في وضعه وطبعه ، وترتيبه وتبويبه ، وجودة ورقه وغزارة فرائده : من لغوية وأدبية ، غير انه خلا من تلك الفهارس القيمة التي ذيل بها ديوان زهير

قدم هذا الديوان بمقدمة ممتعة الأستاذ احمد الزين وهو الذي أخرجه هذا الاخراج الحسن ، وساعده في اخراجه الأستاذ احمد زكي العدوي .

وضم هذا الديوان شعر : أبي ذؤيب — وقد ملأ ما يزيد على ثلثي الديوان — وساعدة بن جؤيّة .

افتتح هذا الديوان بعينية أبي ذؤيب :

أمن المنون وريبها تتوجع ؟ والدهر ليس بمعتب من يجزع

وفي الديوان ابيات خالفت الأوزان الشعرية مخالفة لا مدخل في باب الجوازات ، وانما هي من خطأ النساخ ، منها ما أشير اليه ومنها ما لم يشر . كما ان فيه بعض الفاظ نابية ينفر عنها الذوق ، كما سهلاً ان يستبدل بها غيرها من الروايات الأخرى التي وردت فيها .

والشاعر على علو كعبه ، يخرج أحياناً عن القواعد النحوية ، فيذكّر نعت المؤنث ، ويرجع الفعل مؤنثاً على مذكر سابق . وكل هذا بل أقل منه ، يؤخذ على المتأخرين ويعد عليهم خطأ ، ويؤوّل للمتقدمين ويعتذر لهم منه ، بحجة انهم كانوا قبل النحو ، وقبل ضبط اللغة ، وعنهم ومنهم أخذت اللغة ، وأخذ النحو .

عارف النكدي

ديوان الهذليين

(القسم الأول) شعر أبي ذؤيب وساعدة بن جؤيّة

مطبعة دار الكتب المصرية (القاهرة)

وعلى هذا الديوان شرح وتعليق مختصر — على ما جاء في المقدمة — من شرح ابي سعيد السكري . والكتاب مطبوع على غرار ديوان زهير بن ابي سلمى ، حتى لقد شابهه في وضعه وطبعه ، وترتيبه وتبويبه ، وجودة ورقه وغزارة فرائده : من لغوية وأدبية ، غير انه خلا من تلك الفهارس القيمة التي ذيل بها ديوان زهير

قدم هذا الديوان بمقدمة ممتعة الأستاذ احمد الزين وهو الذي أخرجه هذا الاخراج الحسن ، وساعده في اخراجه الأستاذ احمد زكي العدوي .

وضم هذا الديوان شعر : أبي ذؤيب — وقد ملأ ما يزيد على ثلثي الديوان — وساعدة بن جؤيّة .

افتتح هذا الديوان بعينية أبي ذؤيب :

أمن المنون وريبها تتوجع ؟ والدهر ليس بمعتب من يجزع

وفيها البيت الأشهر:

والنفس راغبة إذا رغبتها فاذا ترد إلى قليل تقنع

والقصيدة من أشعر الشعر العربي .

ومن طرائف ما في هذا الديوان حديث أبي ذؤيب وخالد بن محرث — وهو ابن اخته — أرسله الى صديقته أم عمرو ، فأفسد ما بينه وبينها ؛ فكانت بين الخال وابن الأخت مساجلة شعرية من اظرف الشعر وابرعه . فكان مما قاله الخال:

رعى خالد سري ليالي نفسه توالي على قصد السبيل أمورها

فلما تراماه الشباب وغيُّـه وفي النفس منه فتنة وفجورها

لوى رأسه عني ومال بوده اغانيج خود كان قدماً يزورها

تعلقه منهـا دلال ومقلة تظل لأصحاب الشقاء تديرها

* * *

فان حراماً ان أخون أمانة وآمن نفساً ليس عندي ضميرها

فنفسك فاحفظها ولا تفش للعدى من السر ما يُطوى عليه ضميرها

وكان من جواب ابن اخته:

وكنت إمامـاً للعشيرة تنتهي اليك اذا ضاقت بأمر صدورها

لعـلك إما أم عمرو تبدلت سواك خليلاً شاتمي تستحيرها (1)

فلا تجزعن من سنة أنت سرتها وأول راضي سنة من يسيرها

فان التي فينا زعمت ومثلهـا لفيك ولكني أراك تجورها

تنقذتها من عبد عمرو بن مالك وأنت صفي النفس منه وخيرها (2)

فان كنت تشكو من قريب مخافة فتلك الجوازي عقبها ونصورها (3)

---

(1) هكذا جاءت في الشرح [تستحيرها] بالحاء . وجاءت في التعليق [تستخبرها] بالخاء وأورد دليلاً على ذلك يرجع اليه في الصفحة الـ ١٥٧ من الديوان .

(2) كانت أم عمرو قبل أبي ذؤيب صديقة عبد عمرو بن مالك . فكبر عبد . وكان أبو ذؤيب رسوله اليها .

(3) وفسرت [النصور] من الإنسان بأنها قد تكون جمع ناصر كشاهد وشهود ، أو مصدراً كالخروج والدخول . ؟!!

فلا تك كالثور الذي دفنت له حديدة حتف ثم ظل يثيرها

ويقول أبو ذؤيب ، وجاءته أم عمرو تعتذر اليه :

تريدين كيما تجمعيني وخالداً وهل يجمع السيفان ويحك في غمد

أما ساعدة فمن شعره :

وإني يا أميم ليجتذبني بنصحته المحسب والدخيل

ولا نسب سمعت به قلاني أخالطه اميم ولا خليل

أنِدُّ عن القلي وأصون عرضي ولا أذرُّ الصديق بما يقول

واني لابن أقوام زنادي زواخر والغصون لها أصول

على أن أكثر شعر ساعدة ليس فيه ما يستحق ان يعرض ، ولعل فائدته تكون في ان يستشهد بأبياته ، أو يرجع اليها في تحقيق لغوي .

ع • ن

الوجيز في الحقوق الرومانية

تأليف الدكتور منير العجلاني

يضم هذا الكتاب خلاصة المحاضرات التي القاها الأستاذ على طلاب السنة الثانية من معهد الحقوق العربي بدمشق .

وطأ المؤلف الكتابه بكلمة موجزة قيمة ، جمعت بين الصراحة والتواضع ذكر فيها المصدر الذي استقى منه محاضراته ، ولفت أنظار طلابه الى الكتب التي سبق ان وضعها أساتذة المعهد العربي في هذا الموضوع . واجاب : عما عسى ان تكون الفائدة من دراسة الحقوق الرومانية : « وهي حقوق أمة بائدة لا تربطنا بها صلة من دم ولا من جوار ؟ » بقوله : « ان الحقوق الرومانية تدرس في جامعات العالم كلها . وهذا الاجماع هو خير ثناء عليها وأقوى دليل على فائدتها » .

وكأن المؤلف رأى ان الجمهور المتعلم أصبح من الفهم والبصيرة ، بحيث لا يرضي لنفسه أن يأخذ بالأمور ، ولا سيما العلمية منها متابعة ومشايعة ، فيدرس

العلم لا لشيء إلاّ لأن غيره يدرسه ، لذلك عاد فبسط لطلابه رأيين مختلفين يحومان حول دراسة هذه القوانين .

الرأي الأول : ان هذه القوانين لا تزال حية لم تمت ، يحتاج اليها القضاة في فصل ما يعرض عليهم من الدعاوي ، قال : وهذه طريقة تصدم الواقع لذلك أهملت ، وحل محلها طريقة اعقل وارشد . وهي الطريقة التاريخية .

الرأي الثاني : هو الرأي الذي يقوم على هذه الطريقة التاريخية القائلة : ان الحقوق الرومانية هي جزء من تاريخ الحقوق فهي لا تحل المعضلات القائمة ، ولكنها تفيد في توسيع الثقافة وتقوي ملكة التحليل والمقارنة .

وليس من شك في ان هذا الرأي هو الرأي الصواب ، ولعله لا ينحصر في الحقوق الرومانية وحدها ، بل هو ينطبق على كثير من الشرائع والقوانين التي يجب ان تدرس للتفقه الموصل الى التفكير الفقهي الصحيح ، والحكم القضائي العدل .

والكتاب بعد ، حسن التبويب عامر بالأبحاث التي لا يستغنى عنها في عالم الحقوق : من قضاء ومحاماة .

ع . ن

قصة الأدب في العالم

تصنيف أحمد أمين وزكي نجيب محمود

ظهر القسم الأول من الجزء الثاني من قصة الأدب في العالم ، ولما تكلمت على الجزء الأول من هذا الكتاب الذي صنفه الأستاذان أحمد امين وزكي نجيب محمود اشرت الى تمازج الآداب في القديم والحديث ، واقتباس الأمم بعضها عن بعض ، وحاجة أدبنا الى الاتصال بآداب الأمم الراقية ، وبينت فضل كتاب قصة الأدب في العالم ، فانه يدفعنا الى الموازنة بين ادبنا وآداب غيرنا من الأمم ، فنصقل ادبنا بهذه الموازنة .

ولا شك في ان حاجتنا الى الوقوف على نماذج من أدب الأمم أشد من حاجتنا الى الوقوف على تراجم أصحاب هذا الأدب ، فلا تنفعنا هذه التراجم

بقدر ما تنفعنا نماذج الأدب ، ولقد تضمن كتاب الأستاذين المومأ اليهما شيئاً غير قليل من نماذج الأدب الحديث في الغرب الى مبدأ القرن التاسع عشر ، ولكني رأيت انهما لما تكلما على بعض كتاب فرنسة لم ينقلا لنا عن هؤلاء الكتاب أحسن ما اشتهروا به ، فقد أتيا على ذكر الكاتب « لابروير » ونقلا عنه بعض قطع من كتاباته ولكن « لابروير » اشتهر بغير هذه القطع ، فقد كان من المستحسن أن تذكر خصائص أسلوب « لابروير » فقد عرف هذا الكاتب بالتصوير ، تصوير الأشخاص والجماعات ، وكانت براعته في تصوير الجماعات ، كان تصويره يفتقر الى العمق الفلسفي ، انه لم يعلمنا بشيء جديد عن أهواء البشر ولكنه شديد المراقبة للملامات الظاهرة التي تتصل بها هذه الأهواء ، هذا هو المجال الذي يجول فيه ، وهذه عبقريته ، وهو في هذا المجال نسيج وحده لا يجاريه فيه أحد ، فقد استطاع بفضل فطنته الدقيقة وجلده على المراقبة أن يعرف من ظواهر الرجل الذي نراه ، مثل حركات رأسه ونظراته وهيأته ولهجته وأشاراته وما شابه ذلك ، بواطن الرجل الذي لا نراه .

فعلى هذا الوجه كنا نود لو اختار الأستاذان في كتابهما نماذج من أدب « لابروير » تظهر عليها آثار هذه الخصائص ، وهي كثيرة ، أذكر منها القطعة المتعلقة بوصف الرجل المفتون بتربية الازهار .

وما يقال في « لابروير » يقال في « موليير » الا ان كلام الأستاذين على خصائص « موليير » كان أوفى ، ولكننا كنا نحب بعد هذا الكلام الوافي ان نطلع على قطعة من « موليير » تعرض علينا صورة بعض هذه الخصائص ، وما أكثر هذه القطع ، من جملتها : البخيل ، فلو نقل الأستاذان قطعة عن البخيل لاستطعنا أن نقابل بين بخيل « موليير » وبين بخلاء الجاحظ ، وهذه المقابلة هي التي تنفع أدبنا وتعرفنا الفرق بين أدب وأدب ، ولكن كيف كان الأمر فان كتاب : قصة الأدب في العالم يظل جليل القدر .

شفيق جبري

أديب في السوق

عمر فاخوري

سواء أدلّت الفصول المجموعة في هذا الكتاب على فضل صاحبها أم كانت كتبه الثانية هي التي تدلّ على هذا الفضل ، ان القارئ لا يفرغ من مطالعة هذه الفصول المختلفة الموضوعات دون أن يرى فيها أثر أسلوب صاحبها ، ولا شك في ان للأستاذ عمر فاخوري فناً خاصاً ، وهذا غير قليل في الأدب ، فان روحه مطبوعة على النقد ، ومزاجه مفطور على التهكم ، والنقد والتهكم يحتاجان الى أنواع من التراكيب لا يتقنها أي كاتب كان ، يتكلم الأستاذ على الحرب فيقول : حتى أدركتنا هذه الحرب العالمية الثانية ولا أدري ببركة أي دعاء أو أية صلاة ... ففي مثل هذا التركيب شيء سمّه ما شئت ، سمّه خفة روح أو تهكماً ، فالمهم أنه لا يلجأ اليه أي كاتب كان ، ومن هذا الشكل قوله في الانتخابات : سمعته يذكر جبينه ولا أدري لأية مناسبة أخذ يسميه الجبين الناصع ، ثم يضرب بكفه على جبهته ، وكانت بيضاء حقاً ، لسبب بسيط هو ان صاحبنا ليس بأسمر اللون .

قد يظن بعض الظانين ان هذه الأنواع من التراكيب قد تخرج في بعض الأحيان عن حدّ الطبع ، ولكن الذين يعرفون صاحبها من ربع قرن أو أكثر يعلمون ان الأستاذ فاخوري خالٍ من كل كلفة ، فكذلك فنه فهو لا كلفة فيه ، وقد خلق هذا الفن للنقد والتهكم ، ورزق ما يحتاج اليه هذا النقد والتهكم من اطلاع أدبي واسع الآفاق وتراكيب تظهر عليها آثار الخفة .

ش . ج

مصر والشام في الغابر والحاضر

الدكتور أسعد طلس

ظهر كتاب الدكتور أسعد طلس في وقته المناسب ، فان بلاد العرب أخذت توثق بينها اواصر الصداقة والثقافة والاقتصاد وما شابه ذلك ، فمن الضروري

ان يعرف كل بلدٍ من هذه البلاد صلته بالبلد الآخر في القديم والحديث وقد اختار الدكتور اسعد طلس ان يعرّفنا الأواصر بين مصر والشام في خلال العصور ، فذكر لنا الأواصر السياسية بينهما من اقدم عصور التأريخ ، ووصف لنا الأواصر العلمية والأدبية وصفاً سهلاً يقرّب هذه الأواصر من اذهاننا ويثبتها فيها ، ويكاد القارئ يخرج من هذا الكتاب ومن نظرائه من كتب التأريخ بالنتيجة الآتية وهي ان بلاد العرب لم تكن عبارة عن ارض سكنها العرب في القديم ويسكنونها في الحديث ، وانما هي عبارة عن جملة تقاليد وافكار وعواطف متقاربة .

ش . ج

جنازة قلب

محمد حاج حسين

هذه عشر قصص ، معظمها عاطفي الموضوع ، استخرجها صاحبها من صميم الحياة ، وإذا كان لي رأي في القصة العربية على الإجمال ، فرأيي ان هذه القصة لا تزال تفتقر الى شيء من المهارة الفنية ، ولو انصرف المولعون بالقصة الى الترجمة بدلاً من التأليف لكانت في أدبنا الآن طائفة من القصص الغربية نستطيع ان نستضيء بضيائها في تأليف القصة لأن لهذا النوع من الأدب الحديث قواعد لا نزال نهملها ولا يتسع المجال للتبسط في توضيح هذه القواعد .

ش . ج

النابغة الذبياني

الدكتور جميل سلطان

هذه سلسلة رسائل وجيزة وضعها الدكتور جميل سلطان ، أولها النابغة الذبياني ، في هذه الرسالة كلام على أشياء من حياة النابغة وصفاته ومكانته الأدبية وطريقته والمنحول من شعره واثره في الشعراء ، وفيها نماذج من شعره .

جعلت هذه الرسالة واخواتها التاليات لطبقات طلاّب المدارس التجهيزية ، فهي ترشدهم في سطورٍ قليلة الى فهم حقائق النابغة ، وليس من الضروري ان يخرج الطالب منها بصورةٍ مفصّلةٍ تمثل له النابغة تمثيلاً فيه تعمق وتبحر ، فحسبه ان يخرج منها بصورةٍ تجعله يفقه جملةً من آفاق النابغة ، والمهمُّ في هذه الرسالة ان في بعضها اشياء غير مكرّرة ، مما قاله المتقدمون أو المتأخرون ، من هذا النحو قول صاحبها : وكانت له طريقة تعتمد على المادة والحواس ، فهو ان وصف كان وصفه أشبه بالتصوير لمظاهر الكون ، وان سرّح خياله لم ينفصل عن الحواس ، فهو شاعر حسي مادي .

ش . ج

الحطيئة

الدكتور جميل سلطان

تبحث الحلقة الثانية من سلسلة الدكتور جميل سلطان التي سماها : الخالدين ، عن الحطيئة ، فيها كلام على نسبه وحياته وبعض اخباره واخلاقه وصفاته وعبقريته واغراض شعره واثر الاسلام في هذا الشعر وغير ذلك .

أسلوب صاحب هذه الرسالة يشبه أسلوبه في الرسالة السابقة : النابغة ، ومن محاسنه الانفراد بالحكم على الشاعر دون تقليد احد ، فمن قوله في تأثير زهير في الحطيئة . وأثر آخر نراه لزهير في شعر الحطيئة هو هذه المادية في التشابيه والحسية في الصور ...

فهذه استنباطات لا يهتدي إليها إلاَّ الذي فهم الأدب بحسب روح العصر ، وستنفخ هذه الأحكام وأمثالها في الآتي من الزمن كثيراً من الروح في أدب العرب .

ش . ج

أبو تمام

الدكتور جميل سلطان

تختلف هذه الحلقة عن الحلقتين السابقتين من الوجه الآتي : ان ابا تمام اوسع آفاقاً من النابغة والحطيئة ولهذا كان صاحب هذه الرسالة اوسع كلاماً عليه، فقد تكلم على حياته ونشأته وبعض اخباره ورحلاته ونتاجها وصفاته واخلاقه ولهوه ودينه ومذهبه السياسي وقيمته الأدبية وعصره وفنه وآفاق عبقريته وقواعده في النظم وآراء الأدباء فيه ، واغارته على الشعراء واغارة الشعراء عليه وما شابه ذلك ·

واذا كانت الغاية من هذه الرسائل ترويض الطلاب على فهم الأدب فهماً مطابقاً لروح العصر فان مؤلفها قد بلغ ما يريد ·

ش · ج

رسالة أم

حافظ ابراهيم المنذر

تشتمل هذه الرسالة على الخواطر الآتية : الحلم والاله والحب والأرض والعاق والغرباء ومعنى الجيل والموت والحرب والتأريخ وصرخة الضمير ، وهي لا تخلو من بعض خطرات فلسفية ونظرات في الحياة ونزعات وطنية صورتها لغة سهلة ليكون تأثيرها في عقول البنين وقلوبهم قويا ·

ش · ج

تفسير الإمام أبي عبد الله القرطبي المتوفى سنة ٦٧١

وهو المسمى بـ «الجامع لأحكام القرآن»

كنا نسمع بهذا التفسير الجليل ، قبل أن نراه ، فلما طبع أقبلنا عليه نتصفح أجزاءه ، لنقف على خصائصه ومزاياه ، فرأينا منها ما يأتي :

١ — إن أول ما يتجلى للناظر فيه كون الآيات الكريمة مطبوعة بحرف كبير ، يميزها عن سطور التفسير ، مشكولة شكلاً تاماً ، معدودة بالأرقام ، وهذا الشكل التام شامل لآيات الشواهد أيضاً .

٢ — جدة الحروف ، وجودة الورق ، وجمال الطبع والفصل بين الجمل بأنواع الفواصل ، التي تعين القارئ على صحة اللفظ وفهم المعنى .

٣ — أما التفسير نفسه فقد قدم له المؤلف مقدمة حافلة ببيان فضائل القرآن ، وآداب حملته ، وما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به ، وفي تبيينه بالسنة ، ومعنى كونه أنزل على سبعة أحرف ، وفي جمعه وحفظه ، وذكر من حفظ القرآن ، في زمنه عليه الصلاة والسلام ، وما جاء في ترتيب سوره وآياته ، وإيراد نكات في إعجازه ، إلى غير ذلك مما لا يستغني عنه متدبر للقرآن أو مفسر .

وأما طريقة المؤلف في التفسير ، فهي أنه يورد الآية او الآيات ، ويفسرها بمسائل يجمعها في أبواب ، فيقول مثلاً : تفسير سورة الفاتحة وفيها اربعة ابواب : الباب الأول في فضائلها وأسمائها وفيه سبع مسائل (ويذكرها) الباب الثاني في نزولها وأحكامها ، وفيه عشرون مسألة ، الباب الثالث في التأمين وفيه ثماني مسائل ، الباب الرابع فيما تضمنته الفاتحة من المعاني والقراءات والإعراب ، وفضل الحامدين ، وفيه ست وثلاثون مسألة وهكذا ، وتارة يكون التفسير بمسائل يعدها على نحو ما تقدم من دون فتح باب ولا ذكر عنوان .

٥ — يتنقل المؤلف في هذه المباحث أو المسائل من تفسير المفردات اللغوية وإيراد الشواهد الشعرية إلى بحث اشتقاق الكلمات ومآخذها ، إلى تصريفها

وإعلالها ، إلى تصحيحها وإعرابها ، إلى ما قاله أئمة السلف فيها ، إلى ما يختاره المؤلف أحياناً من معانيها .

٦ – أحسن المؤلف كل الإحسان بعزو الأحاديث إلى مخرجيها من أصحاب الكتب الستة وغيرهم ، وقد يتكلم على الحديث متناً وسنداً ، قبولاً ورداً ، وهو يسند الأقوال إلى قائليها أيضاً « ومن بركة العلم ان يضاف القول إلى قائله »

٧ – أضرب عن كثير من قصص المفسرين ، وأخبار المؤرخين ، واستبدل بذلك تبيين آي الأحكام (كما قال) فضمن كل آية تتضمن حكماً أو حكمين فما زاد ، مسائل تبين فيها ما تحتوي عليه من أسباب النزول والتفسير والغريب والحكم ، فإن لم تتضمن حكماً ذكر ما فيها من التفسير والتأويل .

٨ – وقد أحسن المصحح السيد البيلاوي بشكل ما يشكل من الأعلام والأبيات ، ووضع تعليقات تتضمن ما خفي من المراد ، فجزاه الله على حسن صنيعه خيراً ، أما ملاحظاتنا على هذا التفسير الجليل فمنها :

١ – أنه كان من تمام الإتقان ان يوضع في رأس كل صفحة خلاصة ما تضمنته ، علاوة على ذكر الجزء واسم السورة ، ليكون المطالع على علم مجمل بها قبل قراءتها .

٢ – أن توضع فهارس في أواخر الأجزاء مرتبة على حروف الهجاء ، تذكر فيها اسماء الأعلام ، وأوائل الأبيات ، وأهم ما فسر في التعليقات ليسهل الرجوع إليها عند الحاجة .

٣ – يبدو للمتأمل في التفسير نفسه أنه يغلب عليه البحث في الفنون العربية والمباحث اللغوية ، والمسائل الفقهية ، فمن أمثلة النوع الأول تفسيره لقوله تعالى : « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا » فقد ذكر ان هذه الآية نزلت في المنافقين ، وأن أصل لقوا : لقيوا ، واعلها قال وقرأ محمد بن السَّمَيْقَع لاقوا ، والأصل لاقيوا واعلها كالأولى إعلالاً صرفياً صرفاً ولم يزد على ذلك حرفاً . ومن الثاني تفسيره لآية « وعلم آدم الأسماء كلها » فقد كتب اكثر من صفحتين في اصل لفظ آدم ومأخذه واشتقاقه ومعناه ، ومن النوع الثالث تفسيره لآية « ويقيمون

الصلاة » فقد ذكر فيها ثماني عشرة مسألة استغرقت أربع عشرة صفحة ، فكان منهـا احكام الإقامة ، وبعض ما يتصل بالإمامة ، والاقتداء والقضاء ، وركعتا الفجر ثم لفظ « الصلاة » ، ومأخذها اللغوي وشواهده ، ومعناها الشرعي ، وفروضها في المذهب المالكي ، ونص عبارته رحمه الله « واما فروضها : فاستقبال القبلة والنية : وتكبيرة الإحرام ، والقيام لها ، والركوع ، والطمأنينة فيه » ورفع الرأس من الركوع والاعتدال فيه ، والسجود ، والطمأنينة فيه ، ورفع الرأس من السجود ، والقعود بين السجدتين ، والطمأنينة فيه ، والسجود الثاني والطمأنينة فيه ، . ا هـ ولم يذكر الجلوس والتشهد الثاني والسلام وهي فرض عند الشافعي وأحمد بن حنبل ، في رواية . وحكاه أبو مصعب في مختصره عن مالك وأهل المدينة ، ولكن المؤلف ذكر الفروض عند غير مالك أيضاً وأورد مذاهب الأئمة وأدلتهم في ذلك ورجح بعضها على بعض ترجيحاً مذهبياً ، وقال بعد تمام البحث ص ١٧٧ قلت : فهذه جملة من أحكام الصلاة ، وسائر أحكامها يأتي بيانها في مواضعها من هذا الكتاب ، بحول الله تعالى . ثم ذكر الركوع وصلاة الجماعة ، والقبلة ، والمبادرة الى الأوقات ، وبعض صلاة الخوف في هذه السورة ؛ وقصر الصلاة وصلاة الخوف في « النساء » والأوقات في « هود ، وسبحان ، والروم ، وصلاة الليل في « المزمل » وسجود التلاوة في الأعراف » وسجود الشكر في (ص)

لقد علمت أيها القارئ الكريم مما أوردناه مذهب المؤلف ومشربه في هذا التفسير وان المباحث اللفظية شائعة فيه ، بل هي غالبة عليه ، ومنها ما لا حاجة إليه ، كحكاية الخلاف في كنية أبي البشر وفي عمره ، ونقله عن أهل التوراة ووهب بن منبه مما فيه تطويل من دون طائل ، وكالرواية عن كعب الأحبار في أن أول من وضع الكتاب العربي والسرياني ، والكتب كلها ، وتكلم بالألسنة كلها آدم عليه السلام ، وغير ذلك من الأخبار والمبالغات التي لا يصح فيهـا نقل ، ولا يؤيدها الواقع ، على أن هذا التفسير أقل من غيره ذكراً لمثلها ، ومما يؤيد قولنا أن أكثر مباحثه لفظية ، أنك لا تجد في جميع ما أطال به من

ذكر أحكام الصلاة التي ساقها في سور متعددة وذكر صورها القولية والعملية عند ذكر آياتها المتفرقة — ومحل هذا التفصيل في كتب الفقه لا التفسير — لا تجد توسعاً في مقاصدها الروحية ، وأعمالها القلبية ، وإصلاحها النفسي والاجتماعي ؟ وقد رجعنا إلى قوله تعالى : قد أفلح المؤمنون ، الذين هم في صلاتهم خاشعون» لنرى من الافاضة في أسرار الصلاة وآثارها مثل ما رأينا في شرح صورها وأعمالها ، فلم نر شيئاً من ذلك ، مع ان هذا هو بيت القصيد ، وسر التكليف ، وميزان صحة الإيمان ، وفيه صلاح نوع الإنسان ، وقد ذكر في تفسير الآية ثلاث مسائل : (١) في سبب نزول الآية (٢) في خفض البصر (٣) في اختلاف الناس في الخشوع وهل هو من فرائض الصلاة أو من فضائلها ومكملاتها ، قال : والصحيح هو الأول ومبعثه القلب اه ملخصاً (ج ١٢ ص ١٠٣) .

وجملة القول : إن هذا التفسير جامع ، وبيانه رائع ، ولكن هذه الأبواب التي فتحها ، والمسائل التي شرحها ، فيها تطويل كثير ، لا يدخل في موضوع التفسير ، وإذا كان بعضها من وسائله فإنما يدرس في كتبها ليعين على فهم مقاصده ، ولو زيد في المقاصد مقدار ما يمكن أن يستغنى عنه من هذه الوسائل والمسائل ، ليبلغ هذا التفسير الغاية من نوعه ، ولكان له حق التفضيل على غيره .

محمد بهجة البيطار

النبذ في أصول الفقه الظاهري

رسالة في ٦٠ ص بقطع متوسط ، تأليف الإمام الشهير علي بن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى سنة (٤٥٦) وهذه الرسالة تبين منهاج الظاهريين في طريقتهم استنباط الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة وأصولهم في ذلك وبصورة خاصة منهاج ابن حزم في التحليل والاستنتاج . وقد عرّف بالكتاب وعلق حواشيه وناقش المؤلف في بعض آرائه الأستاذ الكوثري وعني بطبعه السيدان : عزة العطار ، ومحمد نجيب أمين الخانجي فاستحقوا جميعاً الشكر على نشر هذا البحث الطريف .

محمد أحمد دهمان

آراء وأنباء

انتخاب أعضاء مراسلين

انتخب المجمع العلمي العربي في جلسته المنعقدة في ٢٨ حزيران سنة ١٩٤٥ ستة أعضاء مراسلين هم الأساتذة :

الدكتور عبد الرحمن الكيالي (حلب)

الاستاذ محمد سليمان الأحمد «بدوي الجبل» (اللاذقية)

« أنيس المقدسي (بيروت)

« محمد الشريقي (عمان)

« أنطون الجميل (القاهرة)

« عبد الحميد العبادي (الاسكندرية)

وقد صدرت ستة مراسيم جمهورية في ١٩ أيلول سنة ١٩٤٥ بامضاء هذا الانتخاب .

اللغة العربية

كان لجزيرة العرب في شعرها الجاهلي أدب من هذا النوع الذي نسميه كلاسيكياً، وذلك منذ القرن السادس المسيحي ، في عصر لم تكن كبريات لغاتنا العصرية قد تجلت فيه بعد خصائصها . وإنما أعني بالأدب الكلاسيكي مجموعة من الآثار الأدبية تبدو لك معبرة عن قصد سام بعينه ، وعن موقف خاص من مشكلة الحياة ومصير الانسان ، وعن ضرب من الشعور والفهم في لغة أحاطت بها كل العناية لوضع صناعة دقيقة راقية تامة الشروط . وكان أصحاب تلك القصائد القديمة ينطقون أحيانا بالحكم ؛ لكنهم قليلاً ما كانوا يفكرون التفكير المنطقي أو يستنتجون ، بل تميل نفوسهم الى الفوران مع شرارات متتابعة من الصور الخيالية والأمثال ، ومن صيحات الحب أو الغضب التي امتزج فيها اللطف بالقساوة واقترن العطف بالعنف ، وإنما يجري تنسيق الألفاظ فيها طبق

نظرية خاصة للجمال الفني يعتبر الايجاز من أهم قواعدها . وأسمى غايات الشاعر أن يكون لكل بيت من أبياته من التفوق في إيجاز العبارة ومتانتها ما يجعل قوله تسير به الركبان فيصبح كالمثل عند قومه والناطقين بلغته ، ومع ذلك فلم تكن تلك القصائد الشبيهة في قوة طابعها بضرب النقود خالية من بعض الغموض ؛ إذ لكل لغة سرها الخاص بها . بفضله لا يخلو شعرها من هذه الميزة والطابع الخاص ...

أما في العربية ، فللعبارة من المتانة ما لا يبقى معه شيء يحجب مصدرها عن الناطق بها أو المستمع إليها ، وبذلك كان اللفظ في اللغة العربية يذكرك بالأرومة التي اشتق منها . ولعل هذا الشعور العميق بالمصدر يفوق شعورك باللفظ عينه .

فالعبارة العربية إذن كالمزهر ، إذا نقرت أحد أوتاره رنت لديك كل الأوتار ، وخفقت وهي تبعث في نفسك زيادة عمالها من صدى خاص ، جميع الأصداء الخفية لكل ما ينتسب اليها من مفردات أو يلتحق بها ، ثم تحرك في أعماق النفس من وراء حدود المعنى المباشر موكباً من العواطف والصور . وإذا نحن نظرنا إلى العربية من حيث الصناعة أدركنا في غير عناء أن سبك اللغة العربية فيه للشعر ومادته كنوز زاخرة لا تحصى وموارد ، فلقد كان نشوء هذه اللغة وتطورها مبنياً في أعظم قسط من مفرداتها على التداول بين المقاطيع المقصورة والمقاطيع الممدودة .

وإذن يجوز لنا القول بأن اللغة العربية ذات تقاطيع شعرية في ذاتها ، فلا غرابة إذن أن يكون واضع علم النحو هو الذي ضبط تلك المقاطيع . أما الأوزان والتفاعيل الشعرية ، فإنها مؤلفة من مجموعة متأثرة بالصيغ الصرفية . وإن لهذا الاستعداد الشعري العظيم آثاره القوية في توجيه الآداب العربية ، فالرأي الغالب عند جميع الناطقين بالضاد في سائر العصور أن الأدب شعر قبل كل شيء . لذلك كان مؤرخو الآداب العربية ونقادها يقتصرون من آثارها على فن الشعر أو يكادون ، فلئن كان قدامة قد أطلق على أحد كتبه اسم «نقد النثر» ، فهو على ذلك لم يعالج في ثلاثة أرباعه غير الشعر وهل الجاحظ قد روى معظم كلامه الذي استشهد به في كتاب «البيان والتبيين» إلا عن الشعراء أو عن أخوانهم الخطباء ؟ وإذا كان بديع الزمان قد تردد في الإذعان

لما للجاحظ من فضل في الميدان الأدبي ، فما ذلك كما قال ، إلا لأن الجاحظ وإن كان ناثراً بارعاً لم يكن إلا شويعراً ، وإذن فمن الواضح أن الذي لم تكن له الأسبقية في صناعة الشعر ليس على حسب نظرية بديع الزمان برجل الأدب حقاً . وعلى ذلك فقد أحرز النثر في القرون الثلاثة الأولى من الاسلام مكانه اللائق به ، ووافق ظهوره — مثل ما هو الشأن عند سائر الأمم - ما حصل من تقدم في التفكير وطرائق البحث في المواضيع العلمية .

وفي الواقع كان أهل صناعة التفكير المنطقي الاستنتاجي والفقهاء والمشرعون على اختلاف مذاهبهم ، هم الذين سبقوا غيرهم من الكتاب بتطور النثر على ايديهم . ويحكى أن « بلزاك » كان يحمل نفسه على مطالعة كتاب « القانون المدني » ، فيراه على أسلوب لا يجارى في الوضوح والاقتصاد والدقة . ولا أظنني مخطئاً إن قلت : إن عدداً لا يستهان به من رجال الشرع الإسلامي وأئمة الدين كانوا في عدد كبار الكتاب . ألا نجد مثالاً من ذلك عند الجاحظ ، وهو أكبر كتاب القرن الثالث الهجري بلا منازع ؟ فليس من شك أن الجاحظ كان قبل كل شيء من رجالات الفقه الإسلامي ، فلقد انصرف فيما لا يقل عن نصف تآليفه إلى البحوث الدينية . وهل ينكر أحد أن كتاب « الحيوان » وهو أكبر تصانيف الجاحظ ، خاضع في جملته لشؤون توحيدية ، إذ كان مصنفه يريد أن يستخلص من درس الطبيعة وبالخصوص من النظر في شؤون الحيوان ما يقوم حجة ناهضة لتأييد مذهب الاعتزال .

ومهما يكن من الأمر ، فلا مندوحة من الاعتراف بأنه قد يكون في القرن الثالث للهجرة نثر عربي يتصف بغزارة المادة وتنوع الأسلوب ، صالح للرواية وللجدال النظري معاً ، قادر على تتبع الفكرة والالتصاق بها في كل منعرجاتها ، وعلى أداء جميع دقائق المعنى . ولم تمض مائة سنة حتى زال هذا اللون من النثر العربي المتصف بانتقاء اللفظ واختياره وبانسجام عدد النغمات ، وقام مقامه النثر المسجع . وفي الحقيقة لم يكن هذا النوع من النثر المسجوع زائرا جديداً في اللغة

العربية ، بل كان عندها أسلوباً قديماً مألوفاً يرجع عهدها به إلى العصر الذي كان النثر فيه خطابياً أو شفاهياً على أقل تقدير إذ كان موجهاً في الحقيقة الى السمع لا إلى النظر .

ويظهر أن هذا اللون من النثر المسجع قد قطع ثلاثة القرون الأولى من الإسلام يحيا حياة فاترة محدودة النطاق ، فلم يكن يستعمله الا نفر قليل من الدعاة ، ولا تجد له من وراء ذلك أثراً الا السجعة أو السجعتين يضيفها مشاهير الكتاب الى جملهم المرسلة .

فاذا ما حل القرن الرابع للهجرة أصبح هذا اللون من النثر هو الغالب وطغى على غيره وعم . واذا به مستعمل في مواضيع من الأدب وأبواب لم يكن قد طرقها من قبل ، بل هو يمتد الى ما وراء المواضيع ويقتحم الى ما أبعد من الأبواب فيصبح متصرفاً في كامل الآداب النثرية أياً كان لونها ومهما كان غرضها سواء أكانت من آداب الخيال والقريحة ، أو من آداب الترسل ، أو من كتب الأخلاق ، أو من آداب الدواوين ، أو في المواضيع التاريخية .

ولعل السبب في هذا التغلب القاهر راجع الى ما كان مشهوراً في سائر الأوساط الأدبية من تفوق الشعر على النثر . وكان نثر ابن قتيبة ، وقد ظهر منبسطاً منسجم المفردات مرسلاً ينظر اليه عند المولعين بفن الشعر كما ينظر الى فتاة الأسطورة الفرنسية «ساندريون» فقد كانت تفوق أخواتها وأترابها جمالاً وذكاء نفس ؛ الا ان بساطة اخلاقها وتواضعها كانا يظهرانها في مظهر الفقر والخصاصة فكانت لذلك منبوذة . وقد بدا للمغرمين بالشعر أن هذا النثر المنبسط المرسل في حاجة الى زينة وحلى ، وهكذا جعلوه نثراً مسجعاً .

ومع ذلك ، فإنه يجمل بنا ألا نشدد الحكم على النثر المسجوع فهو الذي أمد العربية بعدد من جواهرها الأدبية ، وهو الذي أكسبها آثاراً فيها من جودة الصناعة ودقة النقش ما يجعلها مثالاً تطبيقياً لقاعدة الفن المطلق الخالص ، أو ما يعرف عندهم بالفن للفن ... ولا يمكن مع ذلك نكران العراقيل

الخطيرة التي انجرت من هذا النثر للعبارة الصحيحة الكاملة الموفية بحق المعنى بالقياس للنثر وجوهره . ولا يمكن ان نغفل عما كان لهذا النثر بن ميّ الأثر على الأسلوب ، فلقد جر له الفقر وحمل الكتاب على الاقتصار من أساليب الكتابة على الجمل القصيرة من شتات السجع ، فأفضى بعدد منهم الى التضحية بالمعاني واللب في سبيل العناية بالشكل والأسلوب .

ولكن هذا النوع من النثر قد انقضى اليوم عصره وزال سلطانه . فلقد عادت الحرية المطلقة الى النثر بفضل نهضة الآداب العربية التي بدأت منذ ثلاثة أرباع قرن تقريباً .

وفي هذا الباب ذكر بعضهم مراراً عديدة ما للتأثيرات الأجنبية من فضل على هذه النهضة سواء من حيث الأسلوب وفن التعبير ، أو من حيث تجديد اللون الأدبي في ذاته ، واختيار المواضيع ، وهي عوامل لا يمكن نكرانها ، ولكنها لم تكن لتؤثر لو لم تصادف رغبة دفينة في الانبعاث ، وشوقاً الى احياء تراث عظيم قد وقف سيره : تراث القرنين الثاني والثالث من الهجرة . ذلك أن البشر والشعوب لا يقبلون من التأثيرات والعوامل في باب العبقرية إلا ما كان ملائماً للخلاصة الخالصة من عقليتهم مسايراً لما لها من حركة وتوثب . وباختصار لا يقتبس الناس من غيرهم ولا الشعوب من بعضها الا ما كان حيّاً في قرارة أنفسهم متوثباً للوجود .

وها هو ذا اليوم النثر العربي قد تهذبت حواشيه واتضحت آياته وتم تجديده على أيدي الجيلين الأخيرين من الكتاب ، وبفضل ما بذله هؤلاء من جهود متواصلة ، وما صبروا عليه من جد وعمل ، فأصبح هذا النثر أهلاً لأن يكون أداة تعبير لحضارة عصرية . وبلغ هذا المستوى من الرقي الذي به يتم تأليف الآثار الفنية الخالدة . وانما نعني بالآثار الفنية الخالدة آثاراً لها من قوة السبك ومن الامتلاء بالحقائق البشرية ما لا تنال منه الترجمة الى اللغات الأجنبية أو تذهب به ؛ « فدون كيشوت » لمؤلفه « سرفانتاس » وكتاب « الحرب والسلم »

لـ « تلوستوي » ، وكتاب « كيم » لـ « روديارد كبلنغ » كلها كتب قد حافظت في نصوصها الفرنسية على أوفر قسط من جمالها وروعتها ٠

وإني أؤمل بكل قوة أن يأتي اليوم الذي يوجد فيه تصنيف لمؤلف عربي من المعاصرين ينقل الى اللغات الأوربية فيقيم لأبناء الغرب الدليل على أن أبناء عدنان وقحطان قادرون مرة أخرى على تنمية كنز الفكر البشري ٠

« عن مجلة الثريا التونسية » ولیم مارسیه

حبرون لا جيرون

جاء في القاموس المحيط والقابوس الوسيط للمجد الفيروزأبادي « الجزء ٣ الصفحة ٣٧١ » من طبعة الميمنية بمصر في مادة ح ٠ ل

« وحَلْحول قرية (قرب جيرون) بها قبر يونس عليه السلام والقياس ضمّ حائه »٠

وبما اننا هنا في بيت المقدس من جيران النبي يونس عليه السلام لأن قبره الشريف في مسجد ينسب اليه في قرية حلحول على قارعة الجادة السابلة من القدس الى خليل الرحمن وقد تشرّفنا بزيارته اكثر من مرّة فقد استغربنا ان يقال عن حلحول قرب جيرون والصواب « حبرون » وهو الاسم القديم لمدينة خليل الرحمن عليه السلام المدفون فيها ، بينما الفيروزأبادي نفسه يقول في « ج ٣ ص ٢١١ » وجيرون عين بدمشق ٠

ورجعت الى نسخة مخطوطة من القاموس في خزانة كتبي قديمة العهد فإذا بها تتضمن ما يلي : « وحلحول قرية بها قبر يونس عليه السلام والقياس ضم حائه » ٠

فتأكدت ان كلمتي « قرب جيرون » ليستا من اصل الكتاب وانما زيدتا في نسخة من النسخ التي اعتمدها نصر الهوريني عند طبع القاموس ولم يبحثها البحث العلمي ٠

وفي جميع طبعات القاموس على كثرتها لم يُشر الى هذا الخطأ كما ان صديقنا احمد باشا تيمور رحمه الله واجزل ثوابه لم ينبه عليها في رسالته تصحيح القاموس على بُعد غوره ٠ وعلى كل حال فان هذا التصحيف ليس مما يؤبه له اذ هو لا يؤثر في مباني اللغة ومعانيها ٠

عبد الله مخلص

الفهرس العام لمواد المجلد العشرين

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الأعلام

لكتّاب مقالات المجلد العشرين

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الجزء الحادي عشر والثاني عشر من المجلد العشرين